جعفر ابو التمن

70 عاماً على الرحيل

الرأي

من زمن التنوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (3389) السنة الثانية عشرة

الخميس (18) حزيران 2015

WWW. almadasupplements.com

8

الجواهري ورثاء ابو التمن

جعفر ابو التمن

70

عاماً على الرحيل

تعتبر شخصية جعفر ابو التمن من ابرز الشخصيات الوطنية العراقية إن لم تكن أبرزها ، حيث كان لها حضورها المتميز ودورها الفاعل على الساحتين السياسية والأجتماعية خلال النصف الأول من القرن الماضي . ومع أنها حظيت ببعض الدراسات التاريخية السياسية وتناولتها بالأهتمام كثير من الصحف والمجلات في مناسبات مختلفة ، ألا أننا ونحن الآن في غمرة ماتواجه بلادنا من اخطار ومايعانيه شعبنا من مشكلات وأزمات تهدد تماسك وحدته وأمنه وأستقراره ، فأن الحاجة تبرز ماسة في هذه الأيام الى إستذكار شخصياتنا الوطنية وتسليط الأضواء على أهم ما تميزت به والأستلهام من مواقفها والأقتداء بها على وفق ماتقتضيه مصلحة بلادنا.

محطات في حياة جعفر ابو التمن.. الشخصية الوطنية الخالدة

نجيب محيي الدين

وهنا تبرز شخصية المرحوم الحاج محمد جعفر ابو التمن التي تميزت بالشعور العالي المخلص بالمسؤولية الوطنية وبتساميها فوق النزاعات والأهواء والتعصب ، معتزة وحريصة على هوية المواطنة العراقية باعتبارها الهوية الأساسية التي تصون البلاد وتحفظ حقوق جميع المواطنين بعدالة ومساواة مهما كانت إنتماءاتهم وطوائفهم وقد قدر له الشعب مواقفه طيلة حياته وبعدها ، ويمكن ان يدل ذلك بما القي من شعر ونثر خلال الحفل الأربعيني لوفاته من غرر الأدب العربي والذي لم يكن بروعته أي حفل تأبيي لأي زعيم سياسي عراقي قبله او بعده حتى الآن ، كما ان موكب تشييع جنازته من بغداد الى النجف كان حافلا جداً تستقبله الجماهير في جميع المدن والنواحي والقرى التي مر بها بكل حزن وأسف وتقدير وهو مالم يحصل لغيره.

ليس هدف هذه الكتابة تقديم عرض وافٍ لسيرة فقيدنا الراحل – أبو التمن - ومواقفه في جميع مراحلها . بل هو استذكار لأهم محطات مواقفه لما تتضمنه من معان ومواقف جديرة بالأعتبار والتقدير.

لعل من المناسب أن أبين بأختصار الحالة العامة للبلاد في الفترة التي عاشها الفقيد وتأثر بها وتمثلت في خسارة الدولة العثمانية الحرب ١٩١٨) وإنتصار جبهة دول الحلفاء وبضمنهم - العالمية الأولى (١٩١٤ بريطانية ، وقد أدى ذلك– كما هو معلوم – الى إنسلاخ العراق عنها وإنهاء سيطرتها عليه وحكمها له بعد عدة قرون من الزمن لتحل محلها السيطرة البريطانية. ومنذ ذلك الوقت بدأت مطالبة العراقيين بالأستقلال ومقاومتهم للسيطرة الأجنبية بمختلف الأساليب والمستويات ... رجال دين وعشائر وأبناء المدن من مثقفين وغيرهم وأعتمدوا الأساليب السلمية في ذلك أولا ، ولما لم يجدوا في ذلك مايحقق طموحاتهم في التحرر والأستقلال التام ، فقد تبلورت آراؤهم ومواقفهم بالثورة على تلك السيطرة الاجنبية ، فقامت ثورة العشرين الخالدة ٣٠ حزيران ١٩٢٠ المعروفة التي انطلقت من الفرات الاوسط لتعم بعد ذالك كثيرا من انحاء العراق.

لقد دامت تلك الثورة الخالدة عدة اشهر فقط و قد حظيت بتأييد واسع من معظم شرائح المجتمع العراقي و حققت بعض النجاحات الميدانية و أقامت ادارات محلية و وطنية في الاراضي المحررة و اصدرت صحيفة تنطق بأسمها في النجف الاشرف الا ان الثورة اخفقت عسكريا لعدة اسباب يأتي في مقدمتها عدم تكافؤ القوى العسكرية و المالية و التنظيمية بين قوى الجانبين العراقي و البريطاني ، ومع ذلك فأنها اوقعت في الجانب العسكري البريطاني خسائر غير قليلة بالاضافة لما اثارته من قلق لدى المسؤولين البريطانيين على المصالح البريطانية التي جاءوا من أجلها الى العراق. وهذا ما حملهم على التفكير بطريقة اخرى لحكم العراق على غير ما كان في أذهانهم من أسلوب حكم له بإعتباره مستعمرة من مستعمراتهم العديدة في ذلك الزمن . وقد توصلوا أخيرا الى ما يضمن مصالحهم بتأسيس دولة عراقية و يرأسها ملك عربي و تديرها حكومة عراقية تكون موالية للسياسة البرطانية و مرتبطة بها بمعاهدة تضمن ذلك .

بروز شخصية ابو التمن كان من الطبيعي أن تفرز هذه الاحداث و تبرز من خلالها شخصيات وطنية متنوعة و بمختلف المستويات و المجالات... رجال دين و عشائر ومثقفين و رجال أعمال و شرائح أخرى في المجتمع فكان من الشخصيات التي برزت و تميزت هي شخصية هذا الموضوع وهو المرحوم الحاج محمد جعفرأبو التمن ،الذي اخذت شخصيته تتألق يوما بعد يوم و بموقف حصيف جرئ إثر آخر وتحظى بتأييد المواطنين و اعجابهم و ثقتهم ، لاسيما و أنه قد كانت له و لأسرته مواقف جديرة بالتقدير منذ اواخر العهد العثماني في مواجهة القوات العسكرية البريطانية منذ بدء احتلالها للعراق.

لم يتميز ابو التمن بشدة مقاومته للسلطات البريطانية المحتلة فحسب بل تميز ايضا بما كان يدعو اليه و يعمل جاهدا من أجله وهو ترسيخ الوحدة الوطنية من اجل نظام ديموقراطي و دستوري الى جانب القيام باصلاح شامل للبلاد يحقق الحلول لمشاكلها و يدفع بها الى التقدم و هنا ارى من المناسب أن أقدم موجزا عن نشأة فقيدنا و ثقافته ومركزه الاجتماعي تمهيدا لما سأبينه عن اهم محطات مسيرته التي تميزت خلالها مواقفه كمواطن مخلص و متنور و رجل دولة مدرك لمسؤولياته الوطنية تجاه جميع أبناء الوطن دون تمييز انه الحاج محمد جعفر بن الحاج محمد حسن بن الحاج داود ابو التمن ولد في بغداد عام ١٨٨١ م من اسرة عراقية عربية من أسر بغداد القديمة المعروفة ونشأ في كنف جده الحاج داود الذي كان من كبار التجار و متميزا بتدينه و اشتهر بين جماعته و محلته بالغنى و لتقوى وحب الخير. بدأ جعفر ابو التمن تعليمه في الكتاتيب ثم درس اللغة العربية على ايدي معلمين خصوصيين و اعتمد على نفسه بعد ذلك في اكتساب الثقافة و المعرفة بمطالعته لمختلف أنواع الكتب العربية و الدينية والتاريخية و الحديثة في شتى مجالات المعرفة المتوفرة انذاك فنشأ ذو ثقافة عربية دينية متسامحة و متنورة و أصبح وهو في سن الشباب يتمتع بمركز خاص في الحياة الاجتماعية و الثقافية وبطراز تفكيره التجددي في كثير من القضايا الاجتماعية و الدينية و يوجه الانتقادات لكثير من أوضاع المجتمع العراقي وطرق حياته أنذاك .

المحطة الاولى

ابو التمن رائدٌ و عاملٌ من اجل الثقافة و التعليم و التجديد تشكل هذه المحطة بداية فعالياته في مجال الشؤون العامة منذ مطلع شبابه حيث بدأ نشاطه في اواخر العهد العثماني فقد رأى بنظرته الثاقبة التحررية وملامسته للوقائع العملية في الحياة ، ضرورة اشاعة روح التجديد في المجتمع و التصدي لمشاكله الناجمة عن تخلفه الثقافي والاجتماعي وفي مقدمتها الامية المتفشية انذاك لضألة عدد المدارس الموجودة من جهة و لعدم التوجه اليها من قبل المواطنين من جهة اخرى .

فبدأ يسعى مع مجموعة من الاشخاص و في مقدمتهم جده الحاج داود أبو التمن وعمه الحاج سلمان أبو التمن لتأسيس مراكز لمكافحة الامية في بغداد و مدرسة لتكون على وفق المناهج الحديثة متضمنة تعليم اللغات الاجنبية والعلوم الطبيعة و المالية و تطبيقاتها في مسك السجلات الحسابية و اجراء المراسلات التجارية.

لقد وجد فرصته في الانقلاب الذي قام به حزب الاتحاد و الترقي العثماني و اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ و ماحصل من بعض التبدل في النظرة الطائفية السلبية للحكومة العثمانية نحو الشيعة وتعليمهم في العراق ، اذ لم يكن يسمح لابنائهم في القبول في المدارس الحربية والمعاهد العالية ، كما لم يكن يسمح لهم أيض اً بتقلد وظائف الدولة إلا بدرجة محدودة ، وهذا مالم يكن يشجع أبناء الطائفة الجعفرية على الأنتساب الى المدارس الحكومية ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فأن أكثرية المراجع الدينية لم تكن تشجع هي أيضا الأنتساب الى هذه المدارس ، بل كان بعضها يحرم ذلك بأعتبار المدارس الحكومية مفسدة للدين و الاخلاق . وفي ظل هذه الاجواء و الاعتبارات لم يكن سهلا على ابي التمن و جماعته اخراج مشروعهم الثقافي هذا الا بعد جهود كبيرة بذلتها تلك الجماعة و التي تميز هو من بينهم ، فسعى لذلك لدى بعض المراجع الدينية لكي تدعم جهودهم بعد أن عملوا على تعريفهم بطبيعة هذا المشروع و اهميته لأبناء الطائفة الجعفرية و غيرهم . و كان في مقدمة هذه المراجع عالم بارز متجدد من علماء الدين الشيعة هو العلامة المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي الذي إقتنع بالفكرة وبادر لتأييدها و إقناع المعارضين من المرجعيات الدينية و الشخصيات الاجتماعية . لقد أطلق اسم ((مكتب الترقي الجعفري العثماني)) على مدرسة اللغات و العلوم و لحسابات التي كانت النواة لتأسيس المدارس الجعفرية فيما بعد. لقد رأت السلطات العثمانية عند تقديم طلب فتح هذه المدرسة بانها يمكن ان تكون ذات صفة طائفية وتقتصر الافادة منها على ابناء الطائفة الجعفرية و حدهم. الا ان ابو التمن استطاع اقناعهم بأنها ليست كذلك و انها ستكون مؤسسة و طنية عراقية تقدم خدماتها لجميع ابناء الوطن و على هذا فقد تمت موافقة السلطات العثمانية ، وهو ماسارت عليه فعلا سياسة المدرسة وسارت على نهجها سياسة المدارس الجعفرية بعدها فألتزمت بها اداراتها منذ تأسيسها وحتى اغلاقها بعد عام ١٩٦٨ . وحينما اتيحت لي فرصة التدريس في قسمها الاعدادي خلال العامين ١٩٦٤ كان طلابها من منتسبي جميع مكونات / ١٩٥٢/١٩٥٣ و ١٩٥٣ الشعب العراقي الدينية و المذهبية و القومية و دون اي تمييز بينهم ، وكذلك كان تكوين ملاكها التدريسي فقد كان هو متنوعا أيضا ، فلم يكن اساس اختيار التدريسيين فيها الا الكفاءة والقدرة والأخلاص في العطاء.

أن هذا النهج غير الطائفي الذي تميزت به المدارس الجعفرية لم يكن الا أمتدادا لنهج المرحوم – أبو التمن- الذي امن بـه وثبت أسسه والتزم بـه في جميع المواقف والمناسبات . وقد كان لنجاحه في تحقيق هـذا المشروع أثـرٌ كبيرٌ في ابـراز شخصيته في المجتمـع ، لاسيما وأنه قد كان أنذاك في طور الشباب، كما أن هذا النجاح يمكن أن يعتبر المحطة الأولى في مسيرة اهتماماته بالشؤون العامة للوطن وبداية لأكتسابه ثقة المجتمع العراقي.

انما ما ابداه من نشاط واهتمام بهذا المجال يدل دلالة واضحة على ماكان يتمتع ويتميز بـه من فكر تنويري وتجديدي ويحمل التقدير لأهمية التعليم في تحقيق الاصلاح والتقدم للبلاد.

المحطة الثانية

حركة الجهاد ضد القوات البريطانية ودوره فيها تعتبر هذه المحطة من المحطات المهمة أيضا في مسيرة أبو التمن السياسية والدينية والأجتماعية، اذ أكسبته أحداثها وما قام به خلالها من أدوار لدى الحكومة العثمانية احتراما كبيرا لديها ولدى الشعب العراقي ، وظلت الحكومة العثمانية تستعين به في بعض المواقف السياسية ، وكانت مواقفه ومواقف عائلته خلال تلك الفترة معبرة عن الصدق والأيمان والأخلاص للمبادئ الدينية التي امنوا وعرفوا بها بأعتبارها عائلة شيعية مدينة، محترمة ومتميزة في الأوساط الأجتماعية والدينية. فعندما أعلنت الحكومة العثمانية الحرب على بريطانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) بدأ البريطانيون بأحتلالهم للعراق ابتداءا من البصرة، فأرسل وجهاء البصرة الى علماء الدين في كافة العتبات المقدسة في العراق "نداء استغاثة لتخليصهم من الكفار المحيطين بهم" وقد بدا موقف العثمانيين ضعيفا أمام القوات البريطانية التي أخذت بالتقدم شمالا ، وعلى هذا فقد أيدت الحكومة العثمانية استغاثة وجهاء البصرة فأرسلت شخصيات مهمة الى النجف الأشرف لأتصال بالمجتهدين الكبار للحصول على أصدار الفتاوى للدعوة الى الجهاد بجانب العثمانيين لمواجهة الكفار الغزاة، فحصلوا على ذلك من قبل كثير من المجتهدين الأعلام ، وقد كان لهذه الفتاوى الأثر الكبير في استجابة الناس والأنضمام الى حركة المجاهدين الى جانب العثمانيين.

لقد كان المرحوم جعفر أبو التمن والمرحوم جده الحاج داود وكلعائلته من أبرز الشخصيات المؤيدة لهذه الدعوة بدافع ايمان ديني خالص، فأنيطت به بعد توجه جده الى ساحات الجهاد بنفسه في البصرة؛ رغم شيخوخته ؛ مهمة تزويد المجاهدين بالمؤن والأموال اللازمة بالأضافة الى مهمة الأرتباط بين السلطات العثمانية والمجاهدين ، فأثبت جدارة متميزة وقدرة عالية في أداء كل المهمات التي كلف بها.

لقد كان معروفا موقف العثمانيين ، بموقفهم السلبي وتعصبهم الطائفي تجاه المواطنين الشيعة ، ومع ذلك فأن اصدار المراجع الدينية لفتاوى الجهاد الى جانب العثمانيين المسلمين واستجابة الناس لها مهما ، كان تعبيرا عن ايمانها الديني العميق بوجوب حماية الثغور الأسلامية، وهذا ما كان ينسجم تمام الأنسجام مع شخصية وأفكار فقيدنا – أبو التمن- المعروفة بصدق وبشدة تدينها مع شدة ابتعادها عن التعصب الطائفي وأستنكاره والتصدي له ، ورفضها لأي رد فعل سيئ مماثل ، اذ كان يرى أن الفعل السيئ لا يُسوغ القيام برد فعل سيئ مماثل ، وهو نهج ظل ينتهجه طوال حياته وهو نهج جدير بالتقدير وجدير بالأقتداء في حياتنا السياسية وعلاقاتنا الاجتماعية.

وفي عام ١٩١٥ انتهت حركة الجهاد وأعلنت الهدنة بين الحكومة العثمانية والحكومة البريطانية في عام ١٩١٨ وقد أتمت أحتلالها للعراق ليبدأ العراقيون فصلا جديدا لتحقيق أستقلالهم.

جعفر ابو التمن
70
عاماً على الرحيل

عراقيون
من زمن التوهج

جعفر ابو التمن

70

عاماً على الرحيل

المحطة الثالثة

نشاطاته الوطنية في التنظيمات السياسية من عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٣٣

تعتبر هذه المحطة هي الأخرى محطة مهمة في حياة - أبو التمن – السياسية وأطولها زمنيا حيث كان له حضوره المتميز خلال أهم الأحداث فيها وبرزت خلالها شخصيته السياسية والشعبية باعتباره زعيما وطنيا مخلصا وكفوءا.

لقد بادر قادة الحركة الوطنية العراقية حال اعلان بريطانيا أنتدابها لحكم العراق بالمطالبة بالأستقلال التام للبلاد وأعتمدوا الوسائل السلمية لذلك في بداية الأمر ، الأ أنهم تخلوا عنها بعد أن يئسوا من تحقيق هدفهم بها فشعروا أن الحاجة قد أصبحت ماسة للعمل بتنظيم سري وأستطاعوا تحقيق ذلك في شباط ١٩١٩ بتأسيس ((جمعية حرس الأستقلال)) وحيث أن – أبو التمن – لم يكن بعيدا عن الحركة الوطنية فقد أنضم اليها في عام ١٩٢٠ واصبح عضوا في هيأتها الأدارية العليا ، وإذ تم أنتخاب المرحوم السيد محمد الصدر رئيس شرف للجمعية، فقد تم أنتخاب – أبو التمن – أمينا لسر الجمعية ، وكان هذا الأنتخاب يعبر عن مدى الثقة بقدراته وأخلاصه، فعهدت اليه مهمة الأتصال برجال الدين ورؤساء العشائر وقادة الحركة

الوطنية في بغداد وقد أثبت فعلا كفاءته ونجاحه فيما عهد اليه.

اعلان الثورة العراقية – ثورة عام ١٩٢٠

يعتبر يوم ٢٠ حزيران ١٩٢٠ يوم انطلاق الثورة المعروفة بثورة العشرين الخالدة التي أنطلقت من الديوانية على اثر اعتقال أحد شيوخ العشائر فيها وهو (الشيخ شعلان أبو الجون) ونجاح محاولة عشيرته بالهجوم على مركز اعتقاله وتحريره واعلان الثورة على السلطات البريطانية ، وقد أيدتها عشائر كثيرة في المنطقة وأخذت تمتد يوما بعد اخر الى مناطق أخرى في البلاد ، كما تبنى قادة وجماهير الحركة الوطنية في بغداد والمدن الرئيسة في العراق هذه الثورة وأظهروا تأييدهم لها بمختلف الوسائل المتاحة لها انذاك. وهنا برز - أبو التمن – بنشاطاته وأسهاماته المتميزة ، فقد كان يحضر اجتماعات قادة الثورة ميداني اً وله الكلمة المسموعة بينهم ويخرج الى ميادين القتال ويلقي الخطب الحماسية على مسامع الثوار بالأضافة الى ما كان يقدمه هو وجده الحاج داود وعمه الحاج سلمان من دعم مالي للثورة . وعلى الرغم من فشل الثورة التي لم تستمر الا بضعة أشهر لعدم تكافؤ قوى الطرفين ألا أنها أسهمت في التمهيد لتأسيسالدولة العراقية الحديثة كما

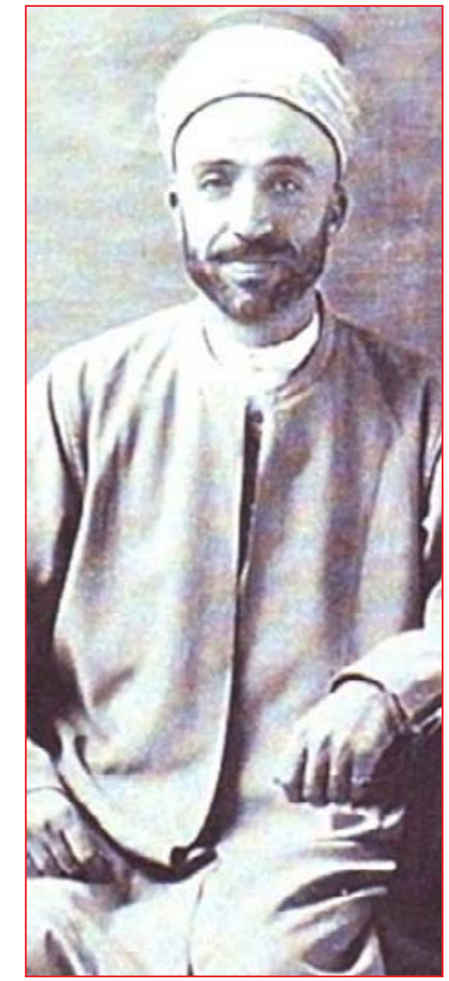

أشير الى ذلك سابقا.

١٩٣٣ - أبو التمن ونشاطه عبر الحزب الوطني ١٩٢١

ظل أبو التمن يواصل نشاطه السياسي الوطني من أجل الأستقلال مع مجموعة من السياسيين الوطنيين حتى أستقر رأيهم على تشكيل حزب سياسي ، ومما يجب ذكره بهذا الصدد أنه كان لتوجيه العالم الديني الوطني المستنير المرحوم الشيخ محمد مهدي الخالصي أثر كبير في تحقيق ذلك ، اذ انه اشار وشدد على ابي التمن الى ضرورة المبادرة لتكوين حزب سياسي وطني وكان ذلك عقب انفضاض مؤتمر كربلاء الذي انعقد ١٣ نيسان ١٩٢٢ لتدارس - بدعوة من الشيخ الخالصي خلال الفترة بين ٨ الوضع العام في البلاد والذي اسفر عن قرارات هامة لتعزيز الوحدة الوطنية الضامنة للنجاح في التصدي للمخططات الاستعمارية وكانت المحاولة الرسمية الاولى في ١٤ اذار ١٩٢٢ وقد ضمت الهيئة المؤسسة للحزب السادة التالية أسماؤهم:

السيد محمد صدر الدين من الكاظمية.
السيد محمد الكاظمي من الكاظمية.
السيد عبدالحسين الجلبي من الكاظمية.
السيد أحمد الشيخ داود من بغداد.
الحاج محمد جعفر أبو التمن من بغداد.
السيد مولود مخلص من بغداد.
السيد علي البزركان من بغداد.

الا أن وزارة الداخلية لم توافق على أجازته بحجة هجوم الوهابيين على عشائر المنتفك ، ولكن عدم موافقة وزارة الداخلية لم يوقف نشاط الهيأة المؤسسة للحزب فأكتسب سمعة طيبة وثقة عالية وتأييدا واسعا في معظم المدن العراقية وصار له المركز الأول من بين جميع الأحزاب التي كانت قائمة انذاك . لقد كانت عوامل نجاحه تتركز في نهجه الوطني غير الطائفي وتأكيده على أهمية الوحدة وتعزيزها وصلابة قادته وفي مقدمتهم شخصية - أبو التمن – الذي تولى رئاسته بالأجماع في جميع مراحله.

المحاولة الثانية لأجازة الحزب جرت المحاولة الثانية لتأسيس الحزب الوطني رسميا في ٢٨ تموز ١٩٢٢ من قبل السادة التالية أسمائهم:

جعفر أبو التمن.
مولود مخلص.
بهجة زينل.
محمد مهدي البصير.
أحمد الشيخ داود.
حمدي الباجة جي.
عبد الغفور البدري. . وقد تمت موافقة وزارة الداخلية في ٢ اب ١٩٢٢.

واصل الحزب قيادة الحركة الوطنية في مقاومتها للمعاهدة العراقية البريطانية التي أريد بها تثبيت حق ٤١٦٠٢ قانوني دولي للسيطرة البريطانية على العراق ، وتعاون الحزب مع حزب وطني اخر هو ((حزب النهضة)) الذي كان يرأسه السيد أمين الجرجفجي من أجل احباط مشروع المعاهدة المذكورة وتحقيق المطالب الوطنية ، و أزاء ذلك قررت السلطات البريطانية ممثلة بالمندوب السامي البريطاني الذي كان هو الحاكم الفعلي للبلاد ؛ بالرغم من وجود ملك وحكومة ؛ اتخاذ اجراءات قمعية شديدة لمواجهة النشاطات الوطنية العراقية كان من بينها تعطيل عدد كبير من الصحف والقاء القبض على بعض الناشطين الوطنيين و القاء القبض على السادة التالية أسمائهم ونفيهم الى جزيرة (هنجام) وهي جزيرة نائية وقاحلة في الخليج العربي ولم تكن الا مركزا لتموين الوقود للبواخر العسكرية البريطانية ولا يسكنها غير العاملين في هذا المركز، وكان ذلك في شهر أيلول ١٩٢٢ ، والسادة هم كل من:

جعفر أبو التمن.
حمدي الباجة جي.
الشيخ محمد مهدي البصير.
الشيخ أحمد الداود.
عبدالغفور البدري.
أمين الجرجفجي.
عبدالرسول كبة.
الشيخ حبيب الخيزران.
سامي خوندة (صحافي وصاحب جريدة الرافدين).

وبعد مرور عدة أشهر تمت اعادة جميع المنفيين عدا محمد جعفر أبو التمن وحمدي الباجة جي ، ثم تمت اعادة حمدي الباجة جي ويبقى أبو التمن منفيا وحيدا في تلك الجزيرة امعانا في ايذائه وتعذيبه من قبل السلطات البريطانية لأستيائها الشديد من مواقفه الصلبة ضد مشاريعها وخططها وما تسببه هذه المواقف من أتساع المعارضة الوطنية ضدها ، ولم يفرج عنه وتتم عودته الى بغداد الا بعد مدة من الزمن.

أعتزل – أبو التمن – العمل السياسي بعد عودته من المنفى ، ويعزوا مؤرخو مسيرته ذلك الى الأسباب التالية:

خيبة أمله في معظم زملائه الذين كانوا معه منفيين في هنجام وبرجال السياسة عموما.

خيبة أمله في موقف الملك فيصل الأول لأنه عارض في عودته من المنفى ولم يساند موقفه على الرغم لما كان بينهما من علاقات ودية وثيقة.

الا أن الرأي العام العراقي لم يرتض لأبي التمن موقفه الأعتزالي لثقته الكبيرة بصدق وطنيته ، لاسيما وأن البلاد مقبلة على أحداث هامة ، منها تقرير مصير ولاية الموصل وعقد معاهدة جديدة مع بريطانيا في عام ١٩٢٨، وعلى هذا فقد عاد الى ممارسة العمل السياسي ، وأشترك في أنتخابات مجلس النواب التي جرت في عام ٩ مايس ١٩٢٨ وفاز بها بالأجماع نائبا عن بغداد ، كما أعاد نشاطه الحزبي وتمت موافقة وزارة الداخلية على ذلك في ١٩ تموز ١٩٢٨.

جعفر ابو التمن

70

عاماً على الرحيل

الزعيم الشعبي جعفر ابو التمن

احمد زكي الخيار

صفحات لم تنشر عن كيفية تهريبه من سلطات الاحتلال البريطاني ايام المقاومة السرية الشعبية للاستعمار

للأستاذ المحامي احمد زكي الخياط.

ان خير ايام بغداد بنظري هي ايام الجهاد والكفاح،

ايام المقاومة السرية التي كان يقوم بها اهل بغداد في عام ١٩٢٠ والاعوام التي سبقته تجاه التعسف الأجنبي الذي تميز به عهد الاحتلال البريطاني.

إنها كانت ايام امل في التحرر وعمل للخلاص، أيام كانت نيران الوطنية تلتهب في نفوس الشعب صغارا وكبارا رجالا ونساء حيث وقف الجميع صفا واحدا متراصا يناضل في سبيل الحرية والاستقلال. ففي تلك البرهة المعطرة بأريج الرجولة كانت بغداد تخط صفحات خالدات في تاريخنا الحديث. تلك ايام غر تلألأ بها افق الوطن برهة تم أطبقت عليها أعوام وسنون بلغت سبعا وثلاثين سنة كاد غبارها ان يطمس معالمها ويشوه من جوهرها الشيء الكثير.

وكلمتي هذه تجلو سطرا واحداً من تلك السطور الوطنية النيرة التي ضمتها طيات التاريخ واحتوتها تضاعيف الزمن.

نفر اهل العراق نفورا لأحد له من الاحتلال البريطاني ومن تعسف الحكام السياسيين من الضباط النزقين واعوانهم الطائشين الذين احتشدت بهم مراكز العمل والمناصب وقد برزت اثار هذه النفرة في كثير من نواحي الوطن شمالا فجنوبا وشرقا فغربا وما هو الا عام وبعض عام حتى كانت بغداد قد زخرت بالجماعات السياسية والهيئات الشعبية الناقمة الصاخبة فكان من الطبيعي ان تستجيب اجزاء الوطن لنداء بعضها البعض وان تتصل اتصالا وثيقا لتوحيد جهودها في سبيله وان كلمتي هذه ذات علاقة برجلين اثنين فقط ممن برزت اسماؤهم في معمعة بغداد السياسية يومذاك هما جعفر ابو التمن، وعلي البزركان.

في مطلع عام ١٩٢٠ احست سلطات الاحتلال بان الروح الوطنية المتوثبة صارت مبعث قلق عظيم لها. ولم يكن هذا الحس في غير محله فقد كانت الاتصالات قد تمت بين قادة الحركة في بغداد وخارجها ووضعت الخطط الواجبة التنفيذ واخذ كل منهم على عاتقه القيام بواجبه بكل حماس.

وما ان تم موسم الحصاد وجمعت المحاصيل الزراعية في القسم الاكبر من انحاء الوطن ووضعت في المخازن حتى ازفت الساعة الموعودة وفي يوم ٣٠ حزيران ١٩٢٠ اعلنت القوات العشائرية المسلحة في الفرات الأوسط وفي غيره الثورة على الظلم فكان موقف بغداد من هذه الخطوة موقفا رائعا اذ بلغ الحماس لدى الشعب ذروته في سبيل الأخذ بيد الثوار ومناصرة الثورة بكل وسيلة ممكنة .

أغاظ هذا الموقف سلطات الاحتلال فقررت التنكيل بالوطنيين لخنق هذه الروح في عهدها. وفي اوائل شهر آب ١٩٢٠ قررت إلقاء القبض على زعماء الحركة واعتقالهم غير انها لم تظفر الا بواحد منهم هو الشيخ احمد الداود فاعتقلته وقد افلح الآخرون في الإفلات من قبضتها.

كانت صبيحة احد اوائل ايام الأسبوع الاول من شهر آب قد هزت مشاعر سكان المحلة التي يسكنها جعفر ابو التمن وسكان الحارات المجاورة لها وذلك على اثر مداهمة جلاوزة الاحتلال داره بقيادة ضابط بريطاني للقبض عليه لكن الله سلم وافلت من قبضتهم في اخر لحظة.

تجمهر الناس وكان قسم كبير منهم يحملون الاسلحة والقضبان الحديدية ولن انسى منظر ذلك الشيخ النحيف النبيلة كيف كان يعرتد عزما وغضبا بينما قبضت كفه اليمنى على فعول من الحديد جاء به ليتقي شر الجلاوزة المغيرين. اختفى جعفر ليلته الاولى في احدى الدور المجاورة ومن هناك كتب الى والدي يطلب اليه ان يسرع في ايجاد مأوى له ولم يضيع والدنا الفرصة فامر باجلائنا جميع من دارنا (وكنا نسكن يومئذ في محلة الهيتاويين) وجاء بجعفر اليه عشاء دون ان يعلم به احد. ومنعنا من دخول المحلة غير انني في احد الايام دخلت واذا كان بي وجها لوجه ابو التمن حيث كان واقفا بقامته المديدة في الطارمة العليا من الدار فابتسم ولم يتكلم ولكني ادركت في الحل خطورة العمل ومبلغ التضحية التي اقدم عليها الواد يومئذ واكبرت فيه براسه الشماغ والعقال اللف وهو ما كان يرتديه عمي علي الاحمد يومئذ يحف به هذا الرهط المجاهد حتى وصل المشرعة حيث وجدوا الزورق جاهزا ولكن على البزركان لم يكن قد وصل بعد. وبعد برهة من الانتظار المشوب بالقلق الذي كان يهدئه مجيد بحديثه المشجع ول البازركان فركب الزورق كل من ابي التمن والبازركان ومجيد كنه فعبروا دجلة وسط رطانة حراس جيس الاحتلال وقعقعة سلاحهم على الجانبين وطلبهم الوقوف وعدم العبور غير ان الزورق قد انساب في لظلام المخيم على وادي دجلة دون ان يرد على احد ولم يقف الا عند بستان مجيد كنه في الدورة حيث استراحوا قليلا. ثم بعد ان تناولوا طعام العشاء عادوا الى البستانالى بين الملا خضير شيخ الجبور في الدولة له ما تبقى من اليل عنده.

وفي الفجر جهزهم الملا خضير بثلاثين خيالا من فتيان عشيرة مدججين بالبنادق والسيوف واتجهوا على ظهور الخيل الى بيت علوان الشلال في اليوسيفية ومنه الى بيت العويف شيخ الجنابيين في جرف الصخر ومن هناك الى كربلاء حيث كانت تسمى الثورة.

هذه كلمة تاريخية ودون قبل اختتامها ان ابين اني لن اعثر – مع كل اسف – على كتاب ابو التمن الذي ارسل لوالدي اذ اردت ان اشيء صورته بالزنكوغراف مع هذه الكلمة لاني كنت قد اطلعت عليه واحتفظت به وان للقارئ الكريم بمبلغ الخسارة العظمى التي اصيبت فيها الحركة الوطنية في بغداد يومذاك من جراء الغدر الصارخ الذي حل بعدئذ بساحة المرحوم مجيد كنه، وان اشير الى قادة الحركة فقد ذهب كل منهم الى رحمة الله .

ولعل مذكرات المرحوم الحاج علي البزركان التي ستنشر في يوم من الايام ان تتحف الجيل الناشيء بما دونه في مذكراته القيمة عن حوادث واحداث وطنية كان قد عرف بتفانيه في سبيلها منذ شبابه كما اشير الى اولئك الشباب الذين ادوا واجبهم الذي فقد عمرهم المجتمع حيث لايعرف احد عنهم اليوم شيئا فمنهم من قضى نحبه ومنه من ينتظر وما بدولوا تبديلا .

اما دور المرأة وشجاعتها في هذا الحادث الوطني من المقاومة السرية وما عرفته انا عن دورها المشرف في ما يثير الاكبار ويبعث على الاعتزاز غير ان المجال لايتسع هنا لسرد كل ذلك.

على في زورق من الزوارق البغدادية (بلم يسير بالمجداف) الى جهة الدورة بجانب الكرخ.

وفي الموعد المضروب اجتمع رهط من المخلصين المؤمنين بوطنهم في المقهى المجاور لدارنا وقد جلسوا متفرقين دفعا لشبهات. اما هذا الرهط الذي حل بعدئذ بساحة المرحوم مجيد كنه، وان اشير الى قادة الحركة فقد ذهب كل منهم الى رحمة الله .

١- مجيد كنه
٢- حسن شكره
٣- السيد خليل
٤- قدوري مرهج
٥- حمودي المندلاوي
٦- علي الاحمد (عمنا)

يضاف إليهم اثنان ذهبا لمرافقة على البازركان من مغداه الى المشرعة وهما زرقوي وجود من ابناء محلتنا يومذاك حضر هؤلاء وقد حمل كل منهم سلاحه وعزم على خوض اية معركة قد تحدث لهم اثناء الطريق بيما كان جعفر يتهيأ داخل دارنا ومعه الوالد للطلوع وفي حوالي الساعة الثامنة من بعد الظهر من يوم السبت ١٤ آب ١٩٢٠ غادر جعفر ابو التمن دارنا بعد ان ارتدى

جعفر ابو التمن

70

عـامـاً عـلـى الـرحـيـل

كيف فقدت مذكرات أبي التمن؟!

كنت قد كتبت في جريدة "الاتحاد" الزاهرة، في عهدها الاول "١ كانون الاول ١٩٨٧" مقالا عن المذكرات التي تركها المرحوم جعفر ابو التمن، وفقدت بعد وفاته، وقد عرف بامرها عدد من اصدقاء الفقيد ومريديه، واول من نبهني الى الامر، هو المرحوم ضياء شكارة: ت ١٩٨٣"،

رفعة عبد الرزاق محمد

ثم اكد فقيد الصحافة والادب المرحوم عبد القادر البراك "ت ١٩٩٥" هذا الموضوع في مقال له بمناسبة رحيل الاستاذ قدري قلعجي، الكاتب العربي الكبير، سنة ١٩٨٦، غير ان البراك – رحمه الله – كان يعتقد ان مذكرات ابي التمن بقيت لدى قلعجي ولم تعد الى بغداد، حتى وقع ما ليس في الحسبان، فقد اطلعت في دار الكتب والوثائق، على ملف يضم بعض اوراق ابي التمن، مما يدل على ان المذكرات عادت الى اسرة الفقيد.. حتى التقيت بالاستاذ الفاضل ناجي جواد الساعاتي في جلسة اقامتها جريدة "الاتحاد" في بناية اتحاد الصناعات العراقي في اوائل سنة ١٩٨٨، وقدم لي متفضلا فوائد تاريخية عن الموضوع، كشفت ما خفي من الموضوع ووضعت الحقيقة في نصابها.

– فما هي حكاية هذه المذكرات؟

× بعد اشهر قليلة من وفاة الحاج جعفر ابو التمن توفي يوم ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٥، كلف المرحوم عبد الكريم الدجيلي ""ت ١٩٧٤" بوضع كتاب عن حياة ابي التمن ونضاله الطويل في سبيل القضية الوطنية، وقد قام المرحوم جميل كبة، زوج ابنة ابي التمن – والاستاذ عبد الفتاح ابراهيم، وهو من اكثر المتأثرين به وبمسلكه في العمل السياسي، بتوجيه الدجيلي وبيان ما يودان بيانه، وتم الاتصال بالمرحوم عبد العزيز ابو التمن، نجل المترجم له، وطلب منه تقديم ما ترك الفقيد من اوراق او مذكرات.

ذكر الدجيلي تعقيبا على ذكريات المرحوم احمد زكي الخياط، عن احدى مواقف ابي التمن في ثورة العشرين "ج. البلد ليوم ٢٧ ايلول ١٩٦٦" ان النية كانت متجهة لاصدار رسالة عن ابي التمن، بمناسبة الذكرى الاولى لرحيله، ولاتمام الرسالة صحب الدجيلي، السيد جميل كبة الى دار ابي التمن في شارع ابي نواس، فجاء المرحوم عبد العزيز ابو التمن بـ "١٤" اضبارة منسقة تنسيقا بديعا ومرتبة زمنيا يقول الدجيلي: وبعد جلستين او ثلاثة استوعبت ما فيها، فاشترطت لاكمال مهمتي ان تهيا لي غرفة في هذه الدار او ان تدفع لي المذكرات واكمل العمل في داري، الا ان ولده كان معتزا بهذه المذكرات لدرجة انه كان لا يخرجها لاحد الا بحضوره، فتركت العمل "!" وما احتوته هذه المذكرات، فهي على الوجه التالي:

١– اضبارة عن الملك فيصل الاول، ٢– اضبارة عن النفط في العراق، ٣– اضبارة عن ثورة العشرين، وكانت كبيرة الحجم، ٤– اضبارة عن الموظفين المتهمين بعدم النزاهة، ٥– اضبارة عن ما كتب عن نشاطه السياسي، ٦– اضبارة عن معتقل هنجم، حقائق وطرائف، ٧– اضبارة عن المعاهدة مع بريطانيا، ٨– اضبارة عن المدرسة الجعفرية ببغداد، ٩– اضبارة لاوراق مختلفة.

اما باقي الاضبارات فلا اتذكر محتوياتها.. وبعد مدة اخبرت بان المرحوم عزيز نجل الفيد قد سلم كل هذه المذكرات الى الاستاذ قدري قلعجي ليخص رسالة عن ابي التمن، ضمن سلسلة كتبه عن الخالدين، ثم ذهبت مدة وتوفي عزيز ولا اعلم مصير المذكرا.

× هذه هي شهادة المرحوم عبد الكريم الدجيلي عن الموضوع لقد ذكرت في مقالي المتقدم ذكره ان المرحوم قلعجي، عزم على وضع دراسة عن سيرة ابي التمن السياسية. وقد كلف الاستاذ ناجي جواد الساعاتي، صديق عائلة ابي التمن وزميل عبد العزيز في كلية الحقوق، بارسال المذكرات الى قلعجي، ولم يحصل الاتفاق فاعيدت الاوراق الى بغداد، ولا صحة للقول بانها بقيت لدى قلعجي او فقدت عنده.

وذكر الاستاذ ناجي جواد الساعاتي، وهو شخصية بغدادية تجمع الادب والفضل والظرف، انه في احدى زياراته الى صديقه عبد العزيز ابي التمن في داره، طلبت منه السيدة زوج الحاج جعفر ابو التمن ان يشترك مع ابنها بنقل مكتبة الجلبي واهدائها الى مكتبة الخالني العامة، وتم الامر وبقيت اوراق الفقيد الخاصة ورسائله لدى ابنه وقام الساعاتي بتنظيمها في اضبارات خاصة، ثم كلفه عبد العزيز بحملها الى بيروت والاتصال بالاستاذ قدري قلعجي ليكتب عن جعفر ابو التمن، وقام الساعاتي بما طلب منه صديقه عبد العزيز ابو التمن، واتصل بقدري قلعجي، الذي اعجب بسيرة ابي التمن، وقرر الكتابة عنها بعد دراسة الاضبارات.. غير ان المرحوم عبد العزيز سافر بعد فترة وجيزة الى بيروت وعاد بالاضبارات، مستنكرا موقف قلعجي ومرديدا: ان اكثر الناس يركضون وراء المال.

ويضيف الاستاذ الساعاتي في حديثه القيم، ان المرحوم عبد الكريم الدجيلي تعهد بدراسة مذكرات ابي التمن واخراج كتاب عنها، فاخبيره – اي الساعاتي – ان اكداسا من الرسائل كانت في الطابق العلوي من دار ابي التمن، كانت محفوظة باكياس كبيرة "كواني" وفي غرفة مهملة.. وفاته ان يسأل عن مصير تلك الرسائل فيما بعد، وفي الخمسينيات وبسبب الاحداث السياسية بين الحركة الوطنية والسلطة، اضطرت اسرة ابي التمن ان تدس الاضبارات والاوراق والرسائل الاخرى في صفائح تنك وتدفنها في حديقة الدار.. بينما ذكرت السيدة زوج عبد العزيز جعفر ابو التمن للمرحوم عبد الرزاق عبد الدراجي، مؤلف رسالة جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية المنشورة، ان دفن هذه الاضبارات، كان بعد مقتل زوجها عبد العزيز سنة ١٩٥٩ في ظروف غامضة ثم خرجت وقد تعفنت وتاكلت ولم يبق منها سوى اوراق قليلة، سلمت الى مركز حفظ الوثائق.

× اذا هذه هي حقيقة ما جرى لمذكرات جعفر ابو التمن، وما اكثر الوثائق التي فقدناها بسبب الاهمال والجهل والخوف، وهكذا ضاعت هذه المذكرات ، ولم يبق منها سوى الذكرى الباهتة، الاضبارة المحفوظة في "دار الكتب والوثائق"، وهي عبارة عن مجموعة من الرسائل الموجهة الى ابي التمن من شخصيات مختلفة، الا ان اهمها واطرفها، رسالة من الاستاذ الفاضل عبد الفتاح ابراهيم – احد مؤسسي جماعة الاهالي – من انقلاب بكر صدقي والحقيقة ان مقاطعة عبد الفتاح لجامعته، بدأت منذ منذ ان بدأ تفكير الجماعة بامكانية الاستعانة بالجيش ثم تبلور هذا التفكير الى اتصال حكمة سليمان بيكر صدقي، وعدم ممانعة كامل الجادرجي ، اقوى شخصيات الجماعة، لهذا الاتصال ويبرر الجادرجي في مذكراته من ٤٣ الموقف بقوله: ان الوضع في الايام الاخيرة من عهد ياسين الهاشمي، قد جعل الامل معدوما في سلوك الطريق الديمقراطي، وفي هذه الحال يمكن اللجوء الى العنف.

جعفر ابو التمن

70

عـامـاً عـلـى الـرحـيـل

حين رفض أبو التمن كرسي الوزارة

علي الظالمي

عندما بلغت الجهود في سبيل جمعية السعي لمكافحة الامية المرحلة المتقدمة كان لابد لكي تنجح في أداء رسالتها ان ينتسب اليها بعض الوجوه البارزة في البلاد في وقت كانت فيه لمثل هذه الاعتبارات الاجتماعية أهميتها القصوى.

اتجهت الانظار أول ما اتجهت الى جعفر ابو التمن زعيماً وطنياً يمكن منه بأن الغرض منها المجيء بمجالس تمثيلية بقصد اضفاء مظاهر الشرعية على النظام السياسي الذي كان شاذا من وجهة نظره والذي كان يسود البلاد ويخلع على المعاهدات والاتفاقيات أثوابا من الدستورية وانكمش عن المشاركة في الوزارات المتعاقبة ايمانا منه بانها من صنع الاجنبي والانكليز على وجه التحديد لا تعمل الا رهن اشارته ولا تخطط الا بتوجيه منه وان النشأ في أسرة تجارية اذ كان جده ((الحاج داود)) صاحب تجارة واسعة يتعاطى بيع وشراء التمن (الرز) وبيت مفتوح معتزاً بدينه اعتزازه بتجارته فاشتهر بين جماعته بالغنى والتقوى وعرف بين أهل بغداد بالذكر الحسن .

في هذا الجو الذي شب فيه أبو التمن وترترع وجد فيه جده من دون أقرانه أيات الفطنة فعني بع عناية خاصة وعهد اليه ببعض الاعمال بل الكثير من اعماله التجارية فقام بها خير قيام كما اشرف على تعليمه مما جعله بالاضافة الى المجالس الادبية التي كان يحضرها في بيت جده ان ينشأ متثقفاً ثقافة عربية دينية اجتماعي الطبع .

لم يتجه جعفر ابو التمن نحو الوظائف الحكومية وانما بدأ حياته العملية بالاشتغال بالتجارة ولما حاول الانكليز بعد احتلال بغداد بايديهم عام ١٩١٧ ان يجعلوه ضمن ميشاريهم من الاهلين في القضايا العامة رفض ذلك رفضاً باتاً .

وبعد ان انحسرت ثورة العشرين التي كان قد عمل في سبيل بكل جد واخلاص توجه الى الحجاز مع رفاق له فاتصل هناك بالملك حسين ولم يعد الى العراق الا بعد تأسيس الحكم الاعلى حيث عهد اليه الملك فيصل بأحد المناصب الوزارية في الوزارة النقيبية الثانية التي تألفت في أيلول ١٩٢٢ وهو يعلم ان امام الوزارة القائمة مهمة شاقة هي عقد معاهدة مع بريطانيا فقبل الاضطلاع بالمهمة لاداء رسالة كان يعتقد انه من الواجب عليه اداءها فرفض المعاهد المفروضة على البلاد فرضاً وتنحى على المنصب الوزاري مما رفع من شأنه بين الوطنيين من أهل البلاد ان هذا الذي ذكرناه جعل جعفر أبا التمن يختار لنفسه نهجاً سياسياً هو أقرب ما يكون الى السلبية وعدم الاقرار بالاوضاع والمظاهر الدستورية التي اعقبت خمود ثورة العشرين العراقية لعام ١٩٢٠ فأسفرت عن نظام سياسي تبنياه من قبل فلم يشترك في الانتخابات البرلمانية بل ندد بها بكل وسياة وقد قام أبو تمن بذلك اعتقادا فعاد كل منهما الى خطه السياسي الذي أعترف به .

لم يقتصر موقف الحزب الوطني العراقي على عدم الاشتراك في الوزارة الكيلانية فحسب بل بادر الى نشر نص وثيقة التآخي التي كان قد وقعها الحزبان كما انه وبعد ثلاثة أشهر تقريباً من تولي الوزارة الكيلانية مقاليد الحكم أصدر بيانا أوضح فيه دواعي تريثه في بيان موقفه منها وكيف ان ذلك جصل : ((لتوسمه الخير فيها مؤملاً ان يكون الاشتراك والتأليف على النمط المذكور دهاء يأتي بما يفيد البلاد حتى مضت ثلاثة شهور وبدت طلائع أمور لم تكن في الحسبان واذا بالوزارة الكيلانية تسير على قدم الوزارات السابقة وربما جاءت متممة لاعمالها بما هو أشد خطراً على مستقبل البلاد .. لذلك يرى الحزب الوطني من واجبه ان ينبه الى هذه الاخطاء المهلكة قبل وقوعها ويسعى لمقاومتها على قدر الاستطاعة . ولم يكن موقف الحزب الوطني العراقي المعارض هذا هو الوحيد الذي واجهته الوزارة الكيلانية اذ ان بعض الاعيان والنواب مثل نائب الكوت محمد علي محمود عد تغيير ((احترام العهود)) الذي به البيان الوزاري تراجعاً في سياسة الاخائيين اسمعوهم بسببه قارص الكلام أما الاهم من ذلك من ذلك كله فهو فقدان الوزارة لقامها وهيبتها في أوساط الجماهير التي أدركت التناقض الكبير الذي تنطوي عليه سياستها . ومهما يكم من أمر فان خروج حزب الاخاء على وثيقة التآخي وما بلغه الموقف السياسي من تأزم لسلوك الوزارة اضافة الى ما اصاب الحزب الوطني ذاته من انشقاق داخلي بسبب الاختلاف في المواقف الواجب اتخاذها ازاء الانتخابات النيابية ذلك الخلاف الذي كانت السلطات الحكومية تستثمره لصالحها بقصد تفتيت الحزب وخلق المشاكل والصعوبات له نقول ان كل ذلك دفع بأبو التمن الى ان ((يتبرم بالحياة السياسية ويعزف عن الاستمرار في العمل الحزبي ويظهر ميله الى تأجيل النشاط الحزبي وتجميده الى ان توافي الظروف الملائمة فيعود الى استئنافه)).

في هذه الاثناء بالضبط قام جماعة الاهالي بمفاتحة جعفر ابو التمن بشأن مساهمته في جمعية السعي لمكافحة الامية فوافق بعد تردد بسبب الوضع الذي اختاره لنفسه الا انه لم يكن عندها على أي حال قد اعلن رسمياً اعتزال العمل السياسي بعد .

ان الحقيقة الاخيرة تتضح بما يلي : اجتمعت الهيئة العامة لجمعية السعي لمكافحة الامية في دار أبي التمن في ٢٥ تشرين الاول لانتخاب الهيئة الادارية فانتخبت كلا من : جعفر أبو التمن ، نصرت الفارسي كامل الجادرجي ، الدكتور فاضل الجمالي ، محمد حديد ، عبد الفتاح ابراهيم وعلي حيدر سليمان ثم اجتمعت الهيئة الادارية المنتخبة بعد ذلك فانتخبت من بين اعضائها جعفراً ابا التمن رئيساً للجمعية ونصرت الفارسي نائباً للرئيس وعبد الفتاح ابراهيم سكرتيراً ومحمد حديد محاسباً .

أما اعلان جعفر ابو التمن اعتزاله العمل السياسي فقد جاء في البيان الاتي نصه وذلك بعد اسبوع واحد على الاجتماع المذكور وأكثر من ذلك حتماً على بدء الاتصالات معه ومواقفه على العمل المشترك : ((اضطررت والاسف يملأ ملأ قلبي ان اعتزل السياسة وأنا واثق بأن التطورات في نهضات الامم قد علمتنا بانها سوف تضطرنا الى العودة متى حان الوقت للكفاح ١٢ رجب ١٣٥٢ و ١ تشرين الثاني ١٩٣٣ جعفر ابو التمن

ان قبول جعفر ابو التمن المساهمة في جمعية السعي لمكافحة الامية أو الاعلان اعتزاله للعمل السياسي يعد ذلك يشبه الى حد كبير انضمام كامل الى جماعة الاهالي قبل استقالته من حزب الاخاء الوطني تلك الاستقالة التي تمت بعد اسبوع واحد فقط من الاعلان الذكور لابي التمن صورة يبدو فيها ابو التمن وكأنه مهد السبيل لقرار كان على الجاردجي ان يتخذه من قبل .ومما لا شك فيه ان جماعة الاهالي فيه ان جماعة الاهالي وقد اسعدهم تعاون جعفر ابو التمن معهم في اطار جمعية السعي لمكافحة الامية تبنوا موقفه السياسي الاخير بمزيد من التقدير والاهتمام باعتباره يبعث على التفاؤل في حدوث تطورات جديدة سياسية بالتأكيد يوما ما في المستقبل القريب فقد طلعت الاهالي في اليوم التالي لنشرها بيان اعتزال للعمل السياسي الذي اشار اليه صراحة انه قد يكون امراً مؤقتاً وفي صدر صفحتها الاولى مقال افتتاحي بعنوان (حادث سياسي خطير – اعتزال جعفر جلبي أبو تمن العمل في ميدان السياسة) أوضحت فيه بأن مسببات الاعتزال أكبر من ان تكون لمجرد خلافات حصلت داخل الحزب الوطني أو الاشاعات التي راجت حول احتمال دخول أبو التمن واعضاء آخرين من حزبه الى الوزارة الجديدة المنوي تشكيلها ان اعتزال أبو التمن كما قالت الاهالي احتجاج كبير على الموقف السياسي الراهن في البلاد ، اما الختام فكان بالعبارة التالية : ترسل الجمعية هذا النداء الى كل عراقي موظفاً كان أو تاجراً أو عاملاً للانضمام اليها والقيام بواجباتها المترتبة عليها سواء كان عضواً عاملاً أو منتمياً وتدعو الراغبين في جهات العراق الى التطوع في هذا المضمار باسرع ما يمكن لها تأسيس الفروع والمباشرة بالعمل.

جعفر ابو التمن

70

عـامـاً عـلـى الـرحـيـل

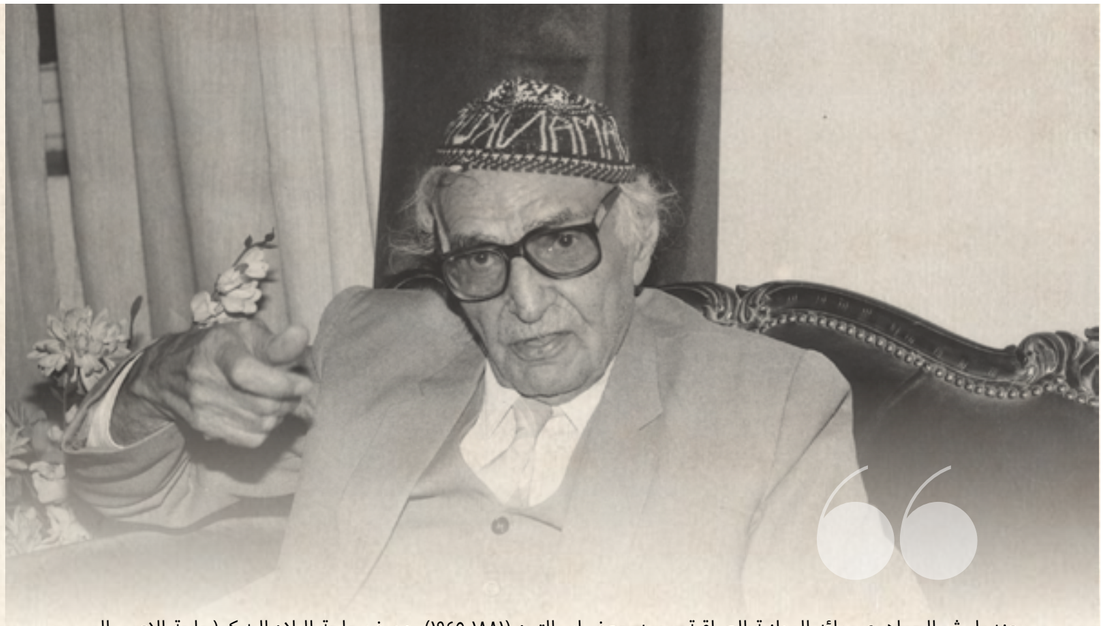

عندما رثى الجواهري، رائد الوطنية العراقية محمد جعفر ابو التمن (١٨٨١-١٩٤٥)، وصف حاجة البلاد اليه كـ (حاجة الاعمى الى الابصار). قبل رحيله كان قد اعتزل العمل السياسي بعد سلسلة من الخيبات والاحباطات التي رافقت مشوار كفاحه من اجل ان يسترد سكان الوطن القديم ملامحهم العابرة للهويات القاتلة. وقبل سبعة عقود رحل عنا (ابو التمن) ورغم كل ذلك الاجحاف الذي واجهه، كانت عيونه ترنو الى وهج ونهوض جديد، يعيد ترميم مشروع حلمه الجميل عبر تشييد صرح (الامة-الدولة). وباستثناء السنة الاولى من عمر الثورة (١٩٥٨-١٩٥٩) تلاحقت الاحداث محتقنة بكل مايتنافر وذلك الأمل اليتيم...بعد ان تلقف صبيان العوجة ومن تجحفل معهم حصاد نصف قرن من تضحيات احرار هذه البلاد.

الـجـواهـري ورثـاء ابـو التمن

جمال جصاني

لقد مرت سبعة عقود على رحيل جعفر ابو التمن، وسبع سنوات على سقوط ابشع نظام شمولي عرفته بلاد الرافدين، غير ان الحال مازال يسير على ذات المنوال والايقاعات والثوابت، التي اجبرت ابو التمن ومن على منهجه وسيرته للاعتكاف والانزواء بعيداً عن المساهمة في الشأن العام، بعد ان فقد الثقة بالكيانات السياسية ولعبة الديمقراطية المفرغة من روحها، بفعل هيمنة الصفوة المدعومة من سلطة الانتداب والقوى التقليدية النافذة.

لا بل يمكن القول بمرارة؛ اننا لم نعد نمتلك أمثال ابو التمن واصحابه من نسيج كامل الجادرجي وعبد الفتاح ابراهيم ومحمد حديد وعزيزشريف وتلك الكوكبة من الشخصيات التي قدمت كل ماتستطيع من أجل رفعة الشأن العام، بعد ان تسللت الى ساحة العمل السياسي والحزبي حزمات من (العملة السيئة) والبرامج المحمومة. القوائم المغلقة، لتوديع مقاعدهم البرلمانية، فنحن امام جولة جديدة لانتخابات لم ينضج قانونها العتيد بعد....كما اننا سنشهد صراعاً سياسياً من دون قانون للاحزاب تحتكم اليه الكيانات والاحزاب في جدلية تنازعها..!

قد يتساءل البعض؛ كيف يعتزل من رحل عنا منذ أمد بعيد؟

يعتزل، ذلك الارث الناصع من الكفاح ونكران الذات، والذي جسد من خلال انخراطه بالشأن العام والنشاط الحزبي والسياسي والمهني، انموذجا لجنين الوطنية العراقية الحقة، البعيدة عن كل انواع المزاودات (القاتلة) وصمد امام مختلف الضغوطات بشكل قل نظيره. تاركاً لنا مدرسة فكرية واخلاقية مترعة بكل مايمكن ان يعيننا في التصدي للتحديات الراهنة. ومن سوء حظ سكان هذا الوطن المنكوب، ان هذا الارث الناصع قد واجه اقسى حملات التنكيل والتشويه والتهميش والنسيان.

انه يعتزل...لان القوى والمؤسسات والبيارغ والتي اجبرته على الاعتكاف بعيداً، مازالت تصول وتجول، لابل ازدادت صخباً على خشبة (ديمقراطيتنا المسلفنة) ولانحتاج الى جهد كبير لرصد ممثليها الجدد الملوثين بالادعاءات الجوفاء.

الموالين باستعارة رموز الآخرين وخاصة عناوين تلك المدرسة الرائدة من قبيل (الوطنية والعراقية والنزاهة و...).

مئات الكيانات (السياسية) والقوائم المؤتلفة، المتدافعة صوب مقاعد البرلمان القادم، لكن ليس من اليسير العثور من بينها على من تلتمس فيه شيء من اعراض تلك المدرسة السياسية والقيمية التي اعتكفت عام ١٩٣٧ وتوهجت بشدة في الاشهر اليتيمة المحصورة في تلك السنة قبل نصف قرن (١٩٥٨-١٩٥٩) ثم انكفئت لاربعة عقود (الحقبة الممتدة بين عبورين بدأت بالقطار وانتهت بالدبابة) الى ان استيقظنا على وقع خطى الاقدار القادمة من خلف البحار...في عتمة هذه الحشود المتدافعة نفتقد جعفر ابو التمن وورثته الحقيقين، غير الملوثين بالادعاءات الجوفاء.

اتخيله الآن وهو يضرب كفاً بكف اسفاً ووجعاً على الحال الذي وصل اليه البلد الذي كان قبل اكثر من نصف قرن رائداً ومتقدماً بوعيه ومشاريع برامجه؛ الى تلك (الارض اليباب) حيث (العالم ملجم والجاهل مكرم) وزمن لم يعد فيه من امثال ساسون حسقيل (صاحب بيت المال) الذي لم يمنح الملك مبلغاً اضافياً بعد ان نفذت ميزانيته المخصصة...بل مخلوقات جديدة تنحت عن طريقها سلالات القوارض خجلاً من فضاءات شراهتها اللانهائية...

آنذاك كان بمقدور جعفر الاعتزال والرجوع الى اعماله التجارية وقيادة غرفة تجارة بغداد. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه:

هل مثل تلك الخيارات متاحة اليوم لمثل تلك السلالات المهددة بالانقراض...؟

جعفر ابو التمن

70

عـامـاً عـلـى الـرحـيـل

ذكـــرى أبـــو الـتـمـن ..

محمد مهدي الجواهري

طالَتْ ولو قَصُرَت يدُ الأعمار
لرَمتْ سِواكَ عَظُمْتَ مِنْ مُختار
من صفوة لو قيلَ أيُّ فَذٍّهُم لم
تَعْدُ شَخْصَكَ أعينُ النُظّار
لكن أرادتْ أن تحوزَ لنفسها
عَينَ القلادة فازدَرَتْ بِنُثار
وأرى المنايا بالذي تختارُه
للموت عاطلة ، وذاتَ سوار
فطوَتْكَ في دَرَج الخُلود فعطّرتْ
بك سالفَ الأحقاب والآثار
واستنزلَتْكَ لغُربة ولأنتَ مِن
عَلياكَ في لَجَبٍ من الأنصار
وتجاهلَتْ أنّ البلادَ بحاجَة
لكَ حاجةَ الأعمى إلى الإبصار
مُدّتْ مِنَ الأخرى إليكَ معاصمٌ
من رِفقة لك قادةٍ أبرار
خُلصاء سَعيكَ في الجِهاد وإخوةٌ
لكَ في الوفاء المحضِ والإيثار
ورفاقُ هذي الدار فيما أسلَفوا
للكاتِبَيْن رِفاقُ تلكَ الدار
بَكَرَ النّعيُ فما سَمعتُ بمثلها
عِبءاً على الأسماعِ والأبصارِ
رَمتِ العَمايَاتُ العيونَ وصَكّت
الأسماعَ صافرةٌ مِنَ الإنذار
وترنّحَ الأحرارُ يؤذِنُ بَعضُهُمْ
بعضاً بفقدِهِم أبا الأحرار
لله درُّكَ من نقيٍّ لم يَنَلْ
أذيالَهُ وَضَرٌ من الأوضار
في حيثُ تزدحِمُ الشكوكُ وترتَمي
شُبُهاتُها حتّى على الأخيار
خاضَ السياسةَ وانجلى عن لُجّها
ألِقَ الجبينِ مكلّلاً بالغار
في حينَ رامَ سِواه خوضَ عُبابها
فطغى عليه فضاعَ في التّيار
وصليبُ عُودٍ حينَ بعضُ مُرونة
في ضَعفها خطرٌ مِنَ الأخطار
وطَريُّ نفسٍ حينَ بعضُ صلابة
في عُقمها حجرٌ من الأحجار
وخَفيُّ كيدٍ حيثُ يسمو كائدٌ
ومن المكايد جالِبٌ للعار
وصريحُ رأيٍ لم يَحد عن خُطة
ليلوذَ من تأويلها بجدار
حَرَّبَ على مُستعمِرٍ ورِبيبِه
ومُسالمٍ مُستَعْمِراً ومُجارِي
أعزِزْ عليَّ " أبا عَزيز " أنْ أرى
خُضُرارَ حفلِكَ زاغِبي الأبصار
خَلَتِ المحافلُ من عُلاكَ وأوحشتْ
من بَعْدِ وجهِكَ نَدوةُ السُمّار
وتَعَرَّتِ الأنظارُ عن مُستَشرِفٍ
بادي السِّنا ، عالٍ على الأنظار
ولقد يَعِزُّ عليكَ أنّكَ لا تَرى
في " الأرْبِعاء " مواكبَ الزُّوّار
أأبا عزيزٍ كنتَ تَذكي جذوتي
ويَلَذُّ سَمْعُكَ مَنطقي وحِواري
غوْثَ الصريخِ ، أتتكَ تُعول حُرَّةٌ
حَرّاءُ صارخةٌ من الأشعار
هَيْجتَ منّي أيَّ داء كامنٍ
وقدحتَ منّي أيَّ زَندٍ واري
قسَماً بيومكَ والفُراتِ الجّاري
والثورةِ الحمراء والثُّوّار
والأرضِ بالدّمِ ترتوي عن دِمْنَة
وتَمُجُّهُ عن روضةٍ معطار
والخيلِ تَزحفُ لم تَدَعْ لُغيرها
جثثٌ تُغطي الأرضَ أيَّ مُغار!
قسَماً بتلك العاطفاتِ ولم تكُنْ
لي قبلَها من حلْفة بالنّار
إنّ الذينَ عهدتَهُم حطبَ الوغى
لو لاهُم لم تشتعِل بأوار
والّلاقحينَ نَتاجَها بأعزّ ما
ملكَتْ يمينٌ من حمىً ودمار
والداهناتِ دماؤُهم لَمَّ الثّرى
والمؤنساتِ شواطئَ الأنهار
والناحرينَ مِنَ الضّحايا خيرَ ما
حَمَلَت بُطونُ حرائرٍ أطهار
ما إنْ تَزالُ حقوقُهُمْ كذويهِمُ
في الفَقْرِ سارِحةً مَعَ الأبقار!
وأعزُّ ما تبغي الحلائلُ منهُمُ
أنْ تُستَرَ العَوراتُ بالأطمار
خمسٌ وعشرونَ انقضَتْ وكأنّها
بشخوصِها خَبَرٌ مِنَ الأخبار
ضِقنا بها ضيقَ السجينِ بقيده
من فَرْط ما حَمَلَتْ من الأوزار
وتَجَهَّمَتْ فيها السماءُ فلم تَجُدْ
للخابطينَ بكوكبٍ سيّار
شاخَ الشبابُ الطّيبون وجُدِّدَتْ
فيها شبيبةٌ شيخة أشرار
وبدا على وَجهِ الحفيدِ وجدُّه
للناظرينَ تقارُبُ الأعمار
مَن كان يحسَبُ أنّ يُمَدّ بعُمره
حُكّمٌ أقيمَ على أساس هاري؟!
مَن القطاعة أنْ تُريدَ رَعيّةٌ في
ظلِّ دُستورٍ لها وشعار
ما يَطلُبُ المأسورُ من يدِ آسر :
إسداءَ عارفةٍ وفَكَّ إسار
ورِواية حبَكَ الزّمانُ فُصولَها
فبدَتْ لنا ممسوخةَ الأدوار
من شرّ ما اختلقَ الرُّواةُ ،ولَفّقَتْ
حيلٍ ، وضمّتْ دفّةُ الأسفار
وممثلينَ تصنّعاً ورِاءَهمْ
خَلْفَ السّتارِ مُلَقِّنٌ مُتواري
ومفرقينَ مذاهباً وعَناصراً
مُتَخَفّزينَ سياسةً استعمار
نزلوا على حُكمِ الغريبِ وعَرّسوا
في ظلِّ مأْثمةٍ له وفجار
وتحلّبُوا أوطارَهُ فاذا بها وَشَلٌ
لِما استحلى من الأوطار
هِيَ للصحابةِ مِن بَني الأنصار
مَن كلِّ بَدريٍّ وكلِّ حَواري
للحاكمينَ بأمرهم عن غيرهم!
ولصَفْوة الأسباطِ والأصهار
من كلِّ غازٍ شامخٍ في صدره
زاهي الوَسام ، مدَوِّحِ الأمصار
هيَ للذينَ لو امتحنتَ بلاءهم
لعجِبتَ من سُخْرِيَّةِ الأقدار
هي للذي من كلِّ ما يَصِمُ الفتى
كاس ، ومن جَهْدٍ يُشرِّف عاري
ومُسلّطٍ لُمَسَلّطينَ مشتْ به الأهواءُ
مشيةَ مُثقَلٍ بخُمار
نَسيَ المُعيرَ ولو تذكّرَ لانثنى
خَزْيانَ من ثوبٍ عليه مُعار

كم رامَ غيرُكَ مثلَها فأحلّهُ
نَزْقُ الغُرور بشَرّ دار بَوار
بل لو تذكّرَ لم يجدْ لضميره
ومصيره عَوناً من التّذكار
لم يبقَ إلّا أنْ تُتَمِّمَ خطوةً
ويظلَّ يَلعبُ لاعبٌ بالنار
فلَرُبّما نفَتِ الشّكاةَ وقرّبَتْ
يومَ الخَلاصِ سياسةُ الإصرار
أأبا عزيزٍ والحديثُ كما رَوَوا
شَجَنٌ ، ومُرُّ القول عذْبُ جاري
ومن العواطف ما يثورُ ويَغتلي
مثل الجحيم ، ويرتمي بشرار
عَفْواً وإنْ شطَّ المدى عن غايتي
ونبَتْ جيادُ الشعر عن مضماري
فلقد تَحشّدَت البواعثُ واشتكَتْ
ضَمّتْ القريضَ لفَحْله الهدّار
ولقد عَهِدْتُكَ بالبلاد وأهلها
جَمَّ الشّجونِ ، مُوزّعَ الأفكار
ووجدتُ قَدْحَ الذكريات شجيّةً
بِرْدا لأفئدة عليك حرار
وعَرَفتُ أشجاناً يثيرُكَ بَعْثُها
فأثَرْتُهُنَّ فطَرْنَ كُلَّ مطار
إيهٍ شبابَ الرافدين ومَنْ بهم
يرجو العراقُ تَبَلّجَ الأسحار
الحاملينَ مِنَ الفوادحِ ثِقْلَها
ليسوا بأنكاس ولا أغمار
والذائدينَ عن الحياض إذا انتحَتْ
كُرَبٌ ، ولإذْ مُكابرٌ بفرار
والباذلينَ عن الكرامة- أرخصَتْ -
أغلى المُهور ، وأفدحَ الأسعار
الفَقْرَ إذ طُرقُ الغِنى مفتوحةٌ
والبؤسَ إذ غُدقُ النعيم جواري
ومؤجّجينَ نفوسَهمْ وقلوبَهمْ
شعْلاً يسيرُ على هُداها الساري
والحابسينَ زئيرَهم بصدورهم
فإذا انفجرنَ به فأيُّ ضواري
والقانعينَ مِنَ الحياة رخيّةً
بلُماظة ، ومن الكرى بغرار
والمغريانَ مُراودانَ ترتجى
وتَخيبُ ، من عُونٍ ومن أبكار
لا تيأسوا أنْ يَلْمَحَ من ليلة فَجرٌ ، ولم
تؤذنْ بضوءِ نهار
فلئنْ صَليتُمْ من هَناة جَمْرها
ومشَيْتُمُ منهنّ فوق شفار
فطوالُ مُحْرِجةِ الأمور وإنْ قَسَتْ
في شرعة التاريخ جدُّ قِصار
لا بُدَّ أنْ يَئِبَ الزّمانُ ، ويَنثني
حُكمُ الطغاة مُقَلَّمُ الأظفار
وتُجَدِّدَ الأيّامُ عَهْدَ وصالِها
من بَعدِ إعراضٍ لها ونفار
فهُناك سوفَ يكونُ من زُهَراتكم
أصفى معارفها وأطيبُ جار
وهناكَ سوفَ يَرى الغَنيمةَ مِعشرٌ
أنْ يُمسكُوا منْ خَلْفِكُمْ بغُبار
فحَذارِ من عُقبى القُنوط حذارِ
وبدارِ للعهدِ الجديدِ بدار

في الذكرى السنوية لرحيل الزعيم

الوطني العراقي جعفر أبو التمن... قراءة جديدة لدراسة قديمة

جعفر ابو التمن

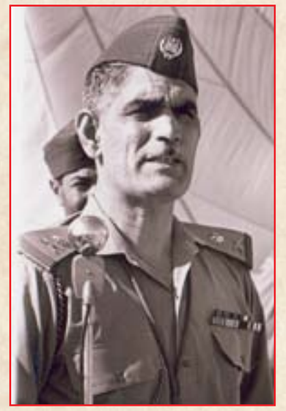
عبد الكريم قاسم

ليث الحمداني

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
جعفر أبو التمن تاريخ مشرف في النضال من أجل الاستقلال
مواقف ثابتة ضد الاحتلال وكل أشكال الهيمنة الاستعمارية
وعي مبكر بخطورة الطائفية السياسية على الوطن
هل يفتقد تاريخ العراق الوطني زعامة وطنية تحظى بإجماع وطني؟
كان عبد الكريم قاسم الحاكم الوحيد الذي استلم السلطة وهو لا يحمل أية حساسيات (طائفية) أو (قومية) مسبقة من أي عراقي
في خضم صراع الأحزاب بعد ١٤ تموز ضاع تاريخنا الوطني، وفي المراحل اللاحقة تعرض للتشويه
في الذكرى السنوية لرحيل السياسي الوطني محمد جعفر أبو التمن والظروف التي يعيشها العراق تكتسب إعادة قراءة الدراسة التي أعدها خالد التميمي عن الراحل الكبير ونشرت بالعربية عام ١٩٩٦ باعتبارها آخر ما نشر عنه أهمية بالغة. فبالإضافة إلى عجز الشارع السياسي العراقي خلال العقود الخمسة الأخيرة عن إنجاب زعيم سياسي يحمل السمات العراقية التي حملها الراحل، فإن الأصوات النشاز التي تروج للطائفية السياسية التي نذر الراحل سنوات عمره للوقوف ضدها باتت تعلن عن نفسها في السلطة والمعارضة خلال السنوات الأخيرة دون خجل من التاريخ العراقي الوطني الذي كتب أبو التمن واحدة من أنصع صفحاته .. ورغم أن الراحل لم يترك مذكرات مكتوبة، وكانت هذه القضية مثار جدل لعدة سنوات، إلا أن ما كتب عنه من دراسات غطى جانبا هاما من مسيرته الحافلة بالعطاء الوطني المجرد من المصالح الذاتية. وتظل الدراسة التي بين أيدينا الأكثر شمولية في تناولها لتلك المسيرة.

بدأ أبو التمن حياته السياسية بين أواخر عام ١٩٠٩ وأوائل عام ١٩١١ حين عمت بغداد الاحتجاجات بسبب عزم السلطات العثمانية بيع ممتلكات وامتيازات الإدارة الحميدية إلى شركة (إخوان لنج) البريطانية حيث شارك جعفر في مظاهرات واحتجاجات نظمت من قبل قادة الحركة المضادة لمشروع البيع (عبد القادر الخضيري ومحمود الشابندر) للإعراب عن معارضة العراقيين لعملية البيع.

خطر الطائفية:

مبكرا أدرك جعفر أبو التمن خطورة التكتلات الطائفية على الوطن، فنراه يبادر بالرفض القاطع لمحاولات ضمه في نشاط سياسي خاص بالشيعة، بل إنه، ورغم تدينه، كان من دعاة التمييز بين الدين والسياسة (ص ٧٥-٧٦). وتشير الدراسة إلى اتصال المجتهد الشيعي البارز محمد حسين كاشف الغطاء بأبي التمن في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٧، وحثه على الانضمام إلى المعسكر الشيعي، غير أن أبا التمن رفض بصلابة، لأنه (لم يرغب بإدخال الدين في السياسة) كما تقول الدراسة. ونحن نميل هنا، ومن خلال قراءاتنا العديدة عنه، إلى الاعتقاد بأن الدافع الأساسي للرفض كان عمق عراقيته التي تجلت بوضوح طيلة سنوات عمله السياسي، حيث بذل قصارى جهده لتوحيد جهود الشيعة والسنة من أجل إنجاز الاستقلال الكامل للعراق منذ بداية نشاطه السياسي. وتشير الدراسة إلى قضية الاستفتاء العام حيث كان جعفر حلقة الوصل بين الزعامات الدينية للسنة والشيعة (قاضيا بغداد السني والشيعي) في كانون الثاني ١٩١٩، وعمل على تقريب وجهات نظرهما حيث تحدث في الاجتماع الذي ضمهما مع ممثلي الطوائف المسيحية واليهودية، داعيا إلى عراق موحد بحكومة عربية وحاكم مسلم (ص ٩٦)، مما عمق دوره في تكريس الوحدة الوطنية العراقية. (لقد ازداد نفوذ جعفر سياسيا حينما بدأ يكرس طاقاته للتوفيق بين الطائفتين الشيعية والسنية. هذا وتشير العديد من التقارير المعاصرة إلى أن جعفر أصبح رمزا للوطنية والوحدة العراقية بين طلائع حزب حرس الاستقلال (ص ١٠٤). ويتكرر إصرار جعفر على عدم التعامل مع إطار سياسي خاص بالشيعة عام ١٩٣٢، ذلك الإطار الذي حاولت إشهاره مجموعة من الوطنيين العراقيين بدافع (موقف السنة المتشدد نحو زيادة مشاركة الشيعة في السلطة) حيث أخبر الوفود التي زارته بأنه لن يتخلى عن مبادئه اللاطائفية، وأنه يعارض أي نشاط سياسي يستند إلى التفرقة الطائفية. بل إنه حاول أن يعطيهم الانطباع بأنه كان يحث بالتأمر الأجنبي وراء تلك الأفكار (ص ٣١٤-٣١٥). وعلى الرغم من الإحباطات التي أصابته من تصرفات الجانب الآخر، فقد عاد لرفض الفكرة من جديد حين عرضها عليه عام ١٩٣٥ كل من عبد الواحد الحاج سكر وسماوي الجلوب (من شيوخ عشائر آل فتلة)، مؤكدا رسوخ موقفه من مساعيَ جادة لتوحيد الأحزاب التي كانت قائمة آنذاك (الوطني) (النهضة) (العهد) لتحقيق حلمه بإيجاد قوة سياسية فاعلة بوجه المستعمرين الإنجليز. وبعد أن فشلت جهوده مع (حزب العهد) يتقدم بمذكرة مشتركة مع (حزب النهضة) تتضمن مطالبهما المشتركة (ص ١٧١) الداعية للاستقلال التام كما يكرر المحاولة مع (حزب الإخاء)، حزب ياسين الهاشمي، إثر وقوف هذا الأخير ضد معاهدة ١٩٣٠ رغم أن لجعفر تجربة غير مشجعة مع (الهاشمي والكيلاني) إبان أزمة معاهدة ١٩٢٢. وفي ٢٢-٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٠ تم توقيع اتفاق تشكيل الحزب المشترك الذي سمي بـ (حزب الإخاء الوطني).

مواقف مبدئية شجاعة

تميزت مواقف جعفر منذ بداياته السياسية بالصلابة والمبدئية، فقد بادر بالاستقالة من اللجنة التعليمية التي شكلها الانجليز المحتلون عام ١٩١٧، والتي كانت تضم في عضويتها الأب انستاس ماري الكرملي، وحمدي بك بابان وشكري الألوسي وعلي الألوسي وجميل صدقي الزهاوي، حيث أصر هو على إعطاء اللجنة صلاحيات تنفيذية، وكان الوحيد بين أعضائها الذي اعترض على دور الإشراف التنفيذي الذي كان بيد مستشارين بريطانيين.. كذلك موقفه مع الشريف حسين حين عرض الأخير تسمية نجله فيصل ملكا على العراق بعد أن كان العراقيون قد أعطوا البيعة لنجله عبد الله. لقد رفض جعفر تغيير البيعة معتبرا أن مبايعته للأمير فيصل الذي قبل بالانتداب تعني القبول بالانتداب ضمنا. وخلال نفيه إلى جزيرة هنجام الثاني من العام نفسه تم تشكيل لجنة من الحزبين وعقدت عدة اجتماعات، ولكن لم يكن الجميع يشاطرون جعفر إدراكه الحاجة للوحدة). ولم ييأس وظل هاجس توحيد العمل الوطني يلازمه، فقد حاول مرة أخرى في أيلول ١٩٢١، حيث عقد عدة اجتماعات لمناقشة فكرة تأسيس حزب يضم كافة العناصر الوطنية، إلا أن الفكرة ظلت معلقة بسبب الخلاف في وجهات النظر بالنسبة للموقف من المعاهدة البريطانية، فقد كان هم السياسة البريطانية منذ مؤتمر القاهرة في نيسان ١٩٢١ الغاية التصديق على المعاهدة في أيلول ١٩٢٤ استبدال صيغة الانتداب بصيغة معاهدة تضمن لبريطانيا كامل نفوذها على العراق (ص ١٣٣). وكانت مسودة المعاهدة قد حظيت بموافقة الملك فيصل قبل وصوله إلى العراق، فقد كان فيصل يرى أن انتخاب حاكم وتوقيع المعاهدة يعني إلغاء الانتداب. أما جعفر ومؤيدوه فكانوا يرون أن المعاهدة مكيدة للإبقاء على الانتداب (ص ١٣٤). ونراه يكرر محاولاته مرة أخرى عام ١٩٢٢ عندما أسس الحزب الوطني حيث بذل المبعدين أخبرهم أن الحكومة العراقية تنوي السماح لهم بالعودة رغم أن أعمالهم سببت المشاكل. وقد تصدى له جعفر قائلا: إن ما يسميه المندوب السامي بالمشاكل يعتبره المبعدون واجبهم الوطني، ومضى بالقول بأنهم إنما أرادوا استقلال وطنهم بينما كانت الحكومة تقوم برعاية المصالح الاستعمارية البريطانية.. إثر ذلك أبلغ كوكس المبعدين أن بإمكانهم العودة، باستثناء جعفر أبو التمن وحمدي الباجه جي. وقد رفض جعفر بعد ذلك التوقيع على تعهدات خطية بدعم المعاهدة مع بريطانيا وبإسناد سياسة الملك رغم أن زملاءه وأخرهم حمدي الباجه جي ومهدي البصير وقعوا على التعهد الذي تضمن أيضا الامتناع عن المساهمة الفعالة في الأمور السياسية إلا ضمن توجيهات الحكومة.

لقد أدرك المحتلون خطورة جعفر كقائد مؤثر في الأنشطة السياسية المعادية للاحتلال البريطاني، وتشير الدراسة إلى أن دائرة المباحث الجنائية (CID) نعتته بأنه (خطر على الجماهير) (ص ٩٣). كما أن الضابط السياسي لمدينة بغداد كتب في ١٣-١٤ حزيران ١٩١٩ في برقية له إلى طهران عن جعفر ما يلي: "إنه مخلوق ذكي، ولكنه طائش ومتعصب، وإن استطاعت طهران – يقصد المراقبين البريطانيين في طهران – الحصول على أية معلومات عن نشاطاته السياسية في خراسان فقد يكون ذلك في مصلحتنا جميعا". ونرى أن البريطانيين أدركوا أن خطورته تكمن في قوة شخصيته من جهة، وفي طروحاته التوحيدية التي تستهدف الاستقلال ولا تقبل أي بديل عنه. وهاهو برسي كوكس يقول في برقية أخرى موجهة إلى إيران (إن تحركات الشخص المومى إليه في برقيتكم – يقصد جعفر – يجب أن تبلغ إلينا وإلى ضباط المناطق السياسيين في قزوين كرمنشاه، وربما وجب تحذير همدان بخصوصه).

ثورة العشرين

حين اندلعت ثورة العشرين بهجوم رجال القبائل على المباني الحكومية في الرميثة، وإطلاق سراح شيخ عشيرة الظوالم شعلان أبو الجون واشتعال الثورة في مناطق الفرات الأوسط قرر البريطانيون اعتقال جعفر ومعظم الأعضاء الناشطين في حرس الاستقلال. وقد تمكن جعفر من الإفلات من قبضتهم والالتحاق بالثورة حيث لعب دورا مهما في أنشطتها، إذ أصبح مستشارا لقادتها، كما تعاون مع مثقفين، منهم علي البزركان وعارف حكمت في كتابة المقالات الافتتاحية في صحف الثورة مثل (الفرات) التي أصدرها الشيخ محمد باقر الشبيبي، وهو من مؤسسي حرس الاستقلال، وصحيفة (الاستقلال) التي أسسها محمد عبد الحسين. وبعد أن نجح البريطانيون في إخماد الثورة بالقوة غادر مع قادة آخرين إلى الحجاز حيث وصلوا إلى المدينة في آذار، وحلوا ضيوفا على الملك حسين شريف مكة.

ويؤكد الاستقبال الذي أعد لجعفر في البصرة إثر الإعلان عن عودته في أيلول ١٩٢١ عمق تأثيره كشخصية قيادية لمسيرة العمل من أجل الاستقلال. فحين وصل إلى بغداد اكتظت أرصفة محطة السكك بالمواطنين الذين كانوا يهتفون بالاستقلال والحرية (ص ١٢٥). وقد ركز بعد عودته على دراسة الأوضاع السياسية. وكان يعطي الأولوية للهيئات والمؤسسات الديمقراطية التي يناضل من أجل إيجادها. وقد امتلك وضوحا في الرؤية السياسية حيث لم يكن مصرا على إعطاء تأييده لمرشح معين بقدر ما كان يهمه قضايا استقلال العراق وبناء الدولة ومؤسساتها الدستورية. وتجسد ذلك في الاتصالات والتحركات التي أجراها سواء مع الملك فيصل أو مع سياسيي ذلك الزمان. ويلاحظ أنه اتجه للتعاون مع مختلف العناصر السياسية لتحقيق هذا الهدف.

إن التحركات الصحفية والسياسية التي قادت الدعوة لعودة جعفر للعمل السياسي بعد أن ابتعد عنه لسنوات إثر عودته من منفاه، تؤكد دوره كقائد مؤثر بين مختلف الأوساط في تلك المرحلة. فقد بدأت الدعوة لعودته للعمل السياسي في جريدة (الزمان) التي كان يصدرها رائد من رواد الصحافة الوطنية العراقية هو إبراهيم صالح شكر. كما بدأت الرسائل تنهال عليه من شخصيات عراقية تدعوه للعمل السياسي، فقد تسلم رسائل من مصطفى الصابونجي ومولود مخلص وسعيد الحاج ثابت، كما بذل ياسين الهاشمي وأركان حزبه (حزب الشعب) مساعيَ في هذا المجال، وزاره في بيته وفد ضم صادق البصام ومهدي حيدر وإبراهيم صالح شكر للضغط عليه. وفي زيارة أخرى له قام بها مهدي حيدر وأسيد صادق الأعرجي وصادق حبه ونوري فتاح وعبد الغفور البدري وعلي مسعود الذي وجه حديثا لجعفر مفاده (انه إذا رفض العودة للعمل السياسي فسوف يكون مسؤولا أمام التاريخ عن فشله في تأييد الأهداف الوطنية). وبعد امتثاله وعودته إلى الحياة السياسية وفشله في أول انتخابات، وانتخابه بعدها نائبا في البرلمان، ترك بصماته على أغلب القضايا الجوهرية التي طرحت. ولعل موقفه من قضية جلد الطلاب وطردهم من مدارسهم وكلياتهم لأنهم تظاهروا ضد زيارة السير (ألفريد موند) المعروف بميوله الصهيونية، تعطي صورة عن مواقفه المشرفة. فقد أكد أن للناس الحق في التعبير عن مشاعرهم بتنظيم المظاهرات أو عقد الاجتماعات كما انتقد اسلوب معاقبة الطلاب بالجلد، حيث أخبر وزير التعليم توفيق السويدي الذي وافق على العقوبات، بأن الحكومة كانت تهين الطلبة بسلوكها البدائي اللاحضاري، وأن وزارة التعليم عليها واجب تعليم الطلاب مواقف الكرامة والرجولة بدلا من إذلالهم. كما سجل جعفر مواقف مشرفة أخرى في مناقشات قضايا الشركات الأجنبية والجيش والصحة والتعليم، وهاجم قانون الصحافة النافذ مطالبا بقانون يمنح حريات أوسع للصحافة.

الدعوة لتأسيس النقابات

بعد إعادة تأسيس الحزب الوطني في أيلول ١٩٢٩ تبنى الدعوة لتأسيس اتحادات عمالية وتعاونيات للشغيلة ودعم تأسيس النقابات والجمعيات الحرفية. وقد تمخضت دعوته عن

ثورة العشرين

جعفر ابو التمن

70

عـامـاً عـلـى الـرحـيـل

تأسيس أول اتحاد عمالي في بغداد برئاسة النقابي محمد صالح القزاز الذي كان وثيق الصلة بجعفر. وقاد من جديد حملته ضد المعاهدة مع بريطانيا حيث ألقى محاضرة عن موقف حزبه من العلاقات مع بريطانيا قدم فيها تحليلا لمعاهدتي ١٩٢٢ و ١٩٢٦، وبين أن المعاهدة التي وقعت في لندن كانون الأول ١٩٢٧ أسوأ للبلد من المعاهدتين السابقتين من عدة نواحي. وأوضح أن المباحثات بخصوص التعديلات المتعلقة بالجانبين العسكري والمالي يجب أن تتوقف كون معاهدة ١٩٢٧ غير مرضية إطلاقا. وقد نشرت المحاضرة في الصحف وأثارت فزع السلطات البريطانية.

الاعتزال من جديد

اعتزل جعفر السياسة للمرة الثانية مغاجئا مؤتمر حزبه الوطني أواخر تشرين الأول ١٩٣٣. وتنقل الدراسة بعضا من أسباب الاعتزال حيث يقول المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني (إن خيبة أمله في أعضاء قياديين من حزبه – رشيد عالي الكيلاني، ياسين الهاشمي، حكمت سليمان – كانت أحد العوامل الأساسية التي دفعته للاستقالة).

ونتوقف هنا عند ملاحظة أوردتها الدراسة حيث تشير إلى (أنه أصبح أكثر تطرفا من الناحية السياسية، وذلك لاقتراب بعض بسميهم الباحث: المتآمرين المتطرفين من العسكريين والعشائريين والعناصر الفعالة الشابة وجماعة الأهالي، ثم بعد ذلك بمنطقات نذرت نفسها للقيام بانقلاب عسكري لتغيير السلطة السياسية بدل مواصلة النضال من أجل إصلاح الخلل والانحراف في المؤسسات الديمقراطية التي نشأت مع قيام الدولة الحديثة). ونحن هنا نختلف مع الباحث لأن مسيرة جعفر السابقة لم تؤشر أي موقف يقود إلى التطرف. لقد ظل مناضلا نزيها يدافع عن الاستقلال الكامل للعراق. وإذا كان قد توصل إلى قناعة لفترة ما، ونتيجة الإحباطات المستمرة لتغيير أسلوبه بهدف تحقيق الإصلاح فإن أهدافه ظلت كما هي: التشبث بالبرلمانية وبالحكم المدني.. إن الدراسة تشير في ص ٣٣٦ إلى تغيير الأوضاع بعد وفاة الملك فيصل الأول، وهذا التغيير بحاجة إلى دراسة مفصلة لأنه أغلق منافذ الإصلاح بالطرق الدستورية بوجه جعفر أبو التمن.. أما الإشارة إلى ارتباطه بجماعة الأهالي الذين اعتبرهم الباحث متطرفين، فهو مسألة طبيعية، لأن طروحات هذه الجماعة كانت تنسجم وأفكاره ومبادئه الإنسانية اللاطائفية. كما أن الدراسة تشير إلى هذه المجموعة على أنها مارست (لونا آخر من التآمر للوصول إلى السلطة (ص ٣٥٤) ولم تعلن ولاءها للمؤسسات الديمقراطية)، رغم أن أحداث تلك المرحلة تؤكد أن تلك المؤسسات لم تكن سوى هياكل شكلية مما دفع الجماعة إلى التفكير بأسلوب جديد يضمن – حسب تصوراتهم – بناء مؤسسات ديمقراطية حقيقية.

إن رسالة جعفر إلى الملك غازي في ١٠ أيار (مايو) ١٩٣٦ (ص ٣٧٠) تعطي صورة واضحة عن أسلوب تفكيره وأهدافه السامية من العمل السياسي. كذلك فإن عريضة الاستنكار المرفوعة للملك إثر مصادرة جريدة البيان (ص ٣٧٨) تعطي صورة أخرى عن النهج السياسي الذي كان سائدا، والذي أصاب جعفر وجماعته باليأس من إمكانية الإصلاح ضمن تلك المؤسسات. نحن نتفق مع الباحث بأن تدخل الجيش في السياسة كان بادرة خطيرة لأن شعبنا دفع – وما زال يدفع – ثمن ذلك التدخل. ولكن لا بد للمنصف أن يؤشر الأسباب التي دفعت أبا الثمن بالذات للتعاون مع الجيش. لقد كان طيلة حياته السياسية التي سبقت هذا التعاون مدافعا عنيدا عن الحياة البرلمانية التي لم يستطع النهوض بواقعها بسبب الأجواء التي أوجدتها شريحة متنفذة من السياسيين من خلال ممارسات خاطئة لا تمت إلى الديمقراطية بصلة.

الانقلاب والاستقالة

كانت مشاركته في الانقلاب إذن بدافع إعادة الحياة الدستورية (ص ٤١٢). ويؤكد ذلك أيضا اشتراط جماعة الأهالي التي كان يقودها فعليا لدعم الانقلاب أن يعود بكر صدقي وقطعاته العسكرية إلى ثكناتهم بعد سقوط وزارة الهاشمي. وقد عبر البرنامج الذي قدمه أبو التمن لوزارته عن منهجه الذي اختطه لنفسه منذ بدء حياته السياسية، ولذلك فإن برنامجه استفز ذوي المصالح، فواجهوه بالتهمة الجاهزة لكل من يدافع عن حقوق الفقراء والمحتاجين آنذاك: (الشيوعية)، وهو الرجل المسلم المتمسك بعقيدته. وبذات المبدئية التي عرف بها، نراه يقف لير على بكر صدقي قائد الانقلاب (ص ٤١٩) في حديثه لجريدة الانقلاب التي أصدرها الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، رافضا اتهامه بالشيوعية قائلا: "إنه وبسبب احترامه لمبادئ العدالة والمساواة فقد تعاطف مع الفقراء والمحتاجين من الناس ... إذا كانت جهودنا باتجاه إصلاح البلاد ومساعدتنا للفقراء من الناس وتطبيق العدالة أمورا شيوعية، فأسأل الله العلي القدير أن يضعنا على قدم المساواة مع الشيوعية". وحين لمس نوايا بكر صدقي في التحول إلى حاكم فعلي إثر ازدياد تدخلاته في مجلس الوزراء حاول مع رئيس الوزراء حكمت سليمان وضع حد للتدخلات ، ولكن دون جدوى.. وإثر هجوم القوات الحكومية على عشائر الفرات الأوسط وضربها بالقنابل في ٨ أيار (مايو) ١٩٣٧، أعلن استقالته مع وزرائه الثلاثة الآخرين يوسف عز الدين وكامل الجادرجي وصالح جبر. (ولعل تلك المحاولة كانت هي الدرس البليغ الذي حدد السياسي الديمقراطي الكبير كامل الجادرجي من خلاله تعامله مع عسكر ١٤ تموز ١٩٥٨ فيما بعد).

لقد أصبح بكر صدقي الحاكم المهيمن على السلطة حتى تاريخ اغتياله، ومارس كأي عسكري خلال تلك المرحلة سياسة التنكيل بالمعارضين، ومورست إجراءات النفي وإسقاط الجنسية عن العديد منهم. أما جعفر الذي نصحه أصدقاؤه بمغادرة العراق فقد رفض النصيحة وتفرغ لأعماله التجارية حيث أشغل نفسه بها للسنوات ١٩٣٧ – ١٩٤٥، وأصبح خلال هذه الفترة رئيسا لغرفة تجارة بغداد ثم ترك الرئاسة ليصبح حتى وفاته عضوا في مجلس إدارتها، وسعى خلال عمله في الغرفة إلى رعاية النشاط الصناعي ودعم إنشاء مشروعي محلج القطن والزيوت النباتية للاستفادة من المواد الأولية المحلية. وقدر تعلق الأمر بمنهجه التجاري فقد كان مؤمنا بمبدأ حرية التجارة، ويرى فيه خير نظام يمكن للعراق أن يتبعه بهدف تحقيق نهضة اقتصادية.

زعامة وطنية

كرس الباحث الفصل التاسع من الدراسة للتركيز على شخصية الراحل كزعيم سياسي، وبعد تحليل استند فيه إلى ما جاء في فصول الدراسة، توصل إلى أنه (رغم احترام الجميع له) لم يكن بمقدوره أن يحظى بالثقة من جميع الأطراف المتضادة. وعزا ذلك السبب في عدم ظهور زعيم سياسي عراقي جماهيري يحظى بتأييد الغالبية العظمى على غرار زعامة سعد زغلول في مصر أو الخطابي في المغرب أو عمر المختار في ليبيا. (بل لا يوجد – كما يقول الباحث – حتى تمثال لنصب سياسي متفق عليه يرمز للوطنية العراقية). وهنا لا بد من وقفة أخرى. لقد توافرت عوامل عدة لتكريس زعامات زغلول والخطابي والمختار، ولكل منهم ظروف مختلفة أسهمت في تكريس زعامته، وهي ظروف تختلف تماما عن ظروف عراق ما قبل ١٤ تموز الذي ظلت تحكم سياسييه عقدة التطابق في كل شيء مع السياسة البريطانية. وظل التاريخ الذي يتلقاه طلاب العلم في مختلف مراحل الدراسة يهمل أو يمر بسرعة على حقبة النضال من أجل الاستقلال الكامل مع كل رجالها باستثناء الشريفيين الذين تطابقت وجهات نظر أغلبهم مع السياسة البريطانية، وإلا فبماذا نفسر إقامة تمثال للجنرال مود في بغداد وإهمال الدور التاريخي لرواد الاستقلال، وفي مقدمتهم أبو التمن. كان الساسة العراقيون يسعون لكسب رضا بريطانيا بأي شكل من الأشكال ولم يكن ممكنا لهم أن يكرموا أيا من الشخصيات التي وقفت ضد سياساتها في العراق..

تبقى قضية الجماهير العراقية التي ظلت صحافة الحزب الوطني الديمقراطي تذكرها بالتاريخ الوطني لجعفر. والجماهير، ليس في العراق، ولكن في جميع بلدان العالم الثالث، لا تملك حق إقرار إقامة نصب أو تمثال لتخليد نضالات شعبها ورجالاته، أو التدخل في المناهج التعليمية كي تبقى ذكرى هؤلاء حية في أذهان الأجيال اللاحقة.. لقد كان هناك – وهذا ما يبدو واضحا في فصول الدراسة – إجماع حول دور جعفر الوطني والقيادي، في الوقت نفسه فنحن نرى في فصولها رجال الدين يثقون به، ونرى الزعامات القومية التي اختلف معها لاحقا تطالبه بالعودة للعمل السياسي حين قرر الاعتزال. ونرى الجماهير تلتف حوله في أكثر من مناسبة.. كان زعيما التفت حوله أكثرية لم تكن تملك القرار لتخليده بعد وفاته. وللحقيقة لا بد أن نذكر هنا أن عبد الكريم قاسم كان الزعيم العراقي الوحيد الذي استلم السلطة في العراق بعد انتهاء الحقبة الملكية، ليس لديه حساسيات مسبقة طائفية أو قومية من أحد. وخطا في الشهور الأولى، وقبل بدء الصراع السياسي خطوات لرد الاعتبار للتاريخ الوطني العراقي فشمل الجميع دون استثناء، ابتداء من منفذي حركة مايس العروبيين (الصباغ ورفاقه)، وانتهاء بفهد الشيوعي المسيحي ورفاقه. وحسب تصوري المتواضع فإن الأيام لو امتدت بقاسم محاطا بساسة عقلاء لكانت مكانة أبي التمن في تاريخنا وفي أذهان الأجيال اللاحقة لا تقل عن مكانة أي زعيم وطني مصري أو مغربي. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الدور الوطني للرجل دفع ناشرا لبنانيا هو قدري قلعجي إلى التفكير بإصدار حلقة من سلسلته (أعلام الحرية) التي أصدرها في الستينات عن شخصية جعفر . تلك السلسلة التي خلدت ضمن أعلام الحرية سعد زغلول وغاندي وأبراهام لنكولن. وقد أشار لظروف هذه القضية الصحفي الراحل عبد القادر البراك في كتابه (ذكريات أيام زمان)، حيث أوضح أن عدم استطاعة الناشر الحصول على الأوراق الشخصية لجعفر حال دون صدور الكتاب.. المشكلة في عدم بروز زعيم سياسي يرمز للوطنية العراقية أن الصراع السياسي بدأ بعد شهور من استلام قاسم الحكم. وهو كعسكري تجاذبته السلطة فمال لهذا الطرف مرة ولذاك مرات. وضاع تاريخنا السياسي الوطني في خضم تلك الصراعات بل انعكس الصراع حتى على التاريخ فجرت محاولات للانتقام منه من مختلف الأطراف السياسية. وفي خضم تلك الصراعات كان القومي العراقي يعرف عن جمال عبد الناصر أكثر مما يعرف عن تاريخ حركته في العراق، ولم يكن حال الشيوعيين أفضل، رغم أن أدبياتهم ظلت أكثر اهتماما بتاريخ العراق الوطني من زاوية يسارية. رغم ذلك فإن الشيوعي البسيط كان يعرف عن لينين أكثر بكثير مما يعرف عن فهد العراقي. وهكذا ضاع كل شيء وليمر تاريخنا بعد قاسم بحقب تحكمت فيها عقد الطائفية والثار من التاريخ. وأذكر هنا أن باحثا بعثيا أصدر في الثمانينات دراسة عن تاريخ حزبه، وبعد سنتين أعيد طبع الدراسة فاختفت منها أسماء بعثية كانت قد اختلفت مع السلطة، وعلمت منه أن الرقابة هي التي حذفت تلك الأسماء. وتحضرني أيضا حكاية الصحفي والمترجم الراحل سليم طه التكريتي الذي وجه عدة أسئلة لطالب في السنة النهائية في كلية القانون تناولت أسئلته شخصيات عراقية مثل ياسين الهاشمي وكامل الجادرجي ومولود مخلص وجعفر أبو التمن، فكانت إجاباته تقرب من الصفر، فأصبح التكريتي يتندر بشعار إعادة كتابة التاريخ الذي رفعته السلطة في العراق قائلا: "فعلا تجري إعادة كتابة للتاريخ بعد أن مسحوه بمسّاحة أم الجمل"×.

وأخيرا نأمل أن ترى المقالات التي ناقش فيها جعفر أبو التمن بنود المعاهدة العراقية البريطانية التي عقدتها حكومة نوري السعيد في حزيران ١٩٣٠، والتي جمعها أستاذنا الراحل حسين جميل، أن ترى النور ليطلع الجيل الجديد من العراقيين على فكر الراحل الكبير في ظل الظروف التي يعيشها العراق، حيث يطفو الفكر الطائفي على سطح الواقع محاولا أن يلغي تاريخا وطنيا مشتركا صنعه العراقيون.

وقديما قال الشاعر: (.....وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

جعفر ابو التمن

70

عـامـاً عـلـى الـرحـيـل

جعفر أبـو ألتمن و الحركـة الوطنية العراقية المعاصرة

في تقرير سري بريطاني، وصف جعفر أبو ألتمن: ((بأنه رجل وطني متطرف، مثقف، يمتلك قدرا كبيرا من النشاط والحيوية والنفوذ، لعب دورا مهما في تصعيد الحركة الوطنية وخاصة في التحريض ضد الانتداب البريطاني)) . وجعفر أبو ألتمن واحد من الشخصيات البارزة في تاريخ العراق المعاصرلكونه من الرجال الذين تركوا أثرا كبيرا على جيل واسع من الشباب في العراق .

د.إبراهيم خليل العلاف

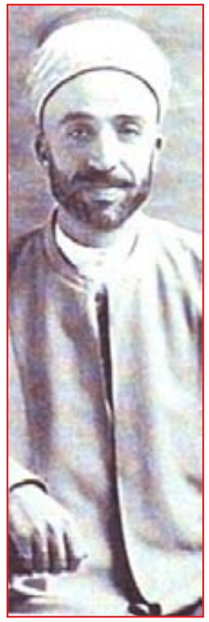

ولد جعفر أبـو ألتمن سنـة ١٨٨١ في بغداد، من عائلة بغدادية عربية تجارية . ونشأ نشأة دينيـة عربية بحتة. ولم يتجه نحو الوظائف الحكومية ،وإنما بدأ حياته في الاشتغال بالتجارة، لكنه ثقف نفسه بنفسه عن طريـق مطالعة الكتب ذات المواضيع المختلفة.

أن من ابـرز ملامـح سيرة جعفـر أبو ألتمـن أواخر العهد العثمـاني أسهامه الجدي في تأسيس معهد تعليمي باسم (مكتب الترقي الجعفـري العثماني) أي مدرسة الترقي الجعفري العثمانية من جهة ،واشتراكه في حركة الجهاد ضد الانكليز حين هـددوا البصرة في تشرين الثـاني ١٩١٤ من جهة أخرى.

وبعد احتـلال الانكليز لبغـداد في ١١ آذار –مارس سنـة ١٩١٧ ، حسبت السلطـات البريطانيـة لجعفـر أبـو ألتمن ، بعد أن احست بمكانته البارزة في المجتمـع ، ألـف حسـاب ، فحاولت الاستعانـة به، فكان لـه في هذه الفترة نشاط اجتماعي ثقـافي، خاصـة من خلال دوره عضوا في مجلس المعارف والمجلس البلدي لمدينـة بغداد . ولكن سرعان ماأستقال بعد أن ظهرت أوجه الحقيقية للاستعمار البريطاني.

أن دور جعفر أبو ألتمن أصبح واضحا للفـترة التـي تبـدأ باستقتـاء ارنولـد ولسن الحاكم السياسي البريطاني في العـراق عـام ١٩١٨ – ١٩١٩ وتنتهي بتنصيب فيصل ملكا على العراق في آب –أغسطس ١٩٢١ . فلقد احتل مركزًا مهما في الحركـة المطالبة بالاستقلال، وقيامـه بدور مهـم في جمعيـة حرس الاستقـلال، وهي المنظمة السرية التي أسسهـا الوطنيـون في شبـاط ١٩١٩ من أجـل المطالبـة بالاستقـلال وكان حلقـة الوصل بين الحركة الوطنية في بغداد، والفرات الأوسط، وعند نشوب الثورة في الفرات الأوسط عام ١٩٢٠ غذاهـا، وهـو في بغداد، بمـا قدمه من أموال وما ألقاه من خطب حماسية في الاجتماعات الوطنية التي كانت تعقد في داره، وهـذا مما أدى الى تضايق المحتلـين منـه فحاولوا ألقـاء القبض عليـه، ولكنـه هـرب والتحـق بميدان الثـورة المستعـر ، فأسهـم في قيـادة الثورة حتى انتهائهاحيث اضطر الى الهرب الى الحجاز .

أما موقف جعفر أبو ألتمن من ترشيح فيصـل ملـكا علـى العراق فيـبرز من خـلال إدراكه بأن تتويـج فيصل ليس إلا " لعبـة استعمارية " وعرف جعفر هـذه اللعبـة الاستعماريـة وعندمـا حاول فيصـل أن يستميلـه أليه طالبا منـه أن يصطحبـه إلى العـراق إلا أن أبي ألتمن رفض ذلك.

يقول المؤلف أن جعفر أبو ألتمن أدرك أن ترشيـح فيصـل قـد حصـل خلـف ستار،

فأثـر أن يتأخـر في الرجـوع ريثمـا ينجلـي الموقـف ويتوضـح الأمـر ، فتفرغ بالبقاء لأداء فريضة الحج لذلك بقـي في الحجاز ولم يعـد الى العراق إلا بعـد انتهاء مراسيم تتويج فيصل ملكا .

تبـدأ المرحلـة الثالثة من حيـاة جعفر في سنـة ١٩٢١ وتنتهـي ١٩٢٣ وفي هـذه المرحلـة. عـاد الى العـراق وبدأ بمساهماتـه الفعليـة في الحركـة الوطنيـة . فقـد أسس الحـزب الوطني العراقـي في تمـوز ١٩٢١ ولقـد أخذ الحـزب الوطنـي يمارس النشـاط السياسـي بدعوتـه الى معارضـة المعاهـدة العراقيـة البريطانيـة لسنة ١٩٢٢ والتـي لم تكن تختلـف عـن صك الانتـداب . وكان حصيلـة هـذا النشـاط أن القـي القبـض على جعفر أبو ألتمن وعلـى مجموعة من زمـلائه ونفـوا الى جزيرة سجـام في الخليج العربـي . ولقد مكث هنا كعشرة أشهر . كمـا أغلق الحزب الوطنـي وبعد أن وجهـت السلطـات البريطانيـة المحتلة هذه الضربة للحركـة الوطنيـة، أتمت توقيـع المعاهـدة، واتخذت الإجـراءات لانتخاب المجلـس التأسيسي لإبرام المعاهـدة ووضـع القانـون الأساسي (الدستور)، فلما عاد جعفر من المنفى وقـف موقفـاً سلبيـاً مـن انتخابـات المجلـس التأسيسي لعلمـه بأنهـا لن تكون حرة.

وبهذا الموقف وضـع جعفر أبو ألتمن الأسـاس للسياسـة السلبيـة التـي رافقته طوال حياتـه السياسية. يرى الاستاذ خـيري أمين العمـري أن أبو ألتمـن كان متأثـراً بسياسة حـزب المؤتمـر الهنـدي الـذي انتهـج طريق العصيـان المـدني أسلوبـا للنضـال ضـد الاستعمـار البريطـاني، فحاول جعفـر أن يلجـأ الى أسلـوب مقـارب منـه في العـراق (انظر مجلـة الهلال، أول نيسان ١٩٦٨ ص ٣٦) والى شئ من هـذا القبيل يشـير الدكتور فاضل حسـين في مقدمتـه الرصينـة لكتـاب الأسـتاذ الصديق عبد الرزاق الدراجي ،رحمـه الله ، في كتابـه عن أبي ألتمن والـذي هو بألا صـل رسالة ماجستير لم يحضـر مناقشتهـا ودافـع عنهـا المشرف على الرسالة الأسـتاذ الدكتور فاضـل حسـين بسبب وفـاة الطالب الدراجـي اثر حادث سير فيقول: "لم ينتـم جعفـر أبـو ألتمـن الى مدرسـة فيصـل الأول السياسيـة، مدرسـة المفاوضـات والسياسـة الواقعيـة بل كان المعارض المزمـن، وهـو في هذا يختلـف عـن ياسـين الهاشمـي الذي يمكن دعوتـه بالمعارض الموالي، وفي الواقع لم يذهب أبو ألتمن في سلبيته مذهـب الذين قاطعوا الحكـم وقعدوا في بيوتهـم بل حاول أن ينشر الوعي السياسـي في صفـوف الجماهـير الشعبية".

ثم تبدأ المرحلة الرابعة من حياة جعفر أبو ألتمن، وهـي التي تقع بين سنتي ١٩٢٤و ١٩٣٢ ولعل من ابرز ملامحها إعادة تشكيل الحزب الوطني العراقي وموقفـه المعارض لمعاهـدة ١٩٣٠ ومسانـدته لياسـين الهاشمي وحزبه: حـزب الإخـاء الوطنـي في معارضته للمعاهـدة وتوقيعـه وثيقـة التآخـي بين الحزبين ومعارضة بعض أعضاء الحـزب الوطنـي هـذه السياسة لأنها تقف عثر أمام آمالهم في الوصول الى السلطـة والبرلمان .كما أن أحد زعماء حزب الإخـاء الوطني هو رشيد عالي الكيـلاني، لم يستطـع الاستمـرار في الالتـزام بوثيقة التآخي فألف وزارته الأولى سنـة ١٩٣٣ ولقـد دفـع هـذا جعفـر أبو ألتمـن الى اعتـزال العمل السياسي في الأول من تشرين الثاني ١٩٣٣.

وتبقـى المرحلـة الأخـيرة مـن حيـاة جعفر أبو ألتمن، وهي المحصورة بين سنتـي ١٩٣٤ و ١٩٤٥ وهـي مرحلـة مهمة مـن حياته، لأنهـا شهدت تحولاً في اتجاهه السياسي وهو انضمامه الى جماعـة الأهـالي فأستوعـب أفكارهـا المسمـاة (الشعبيـة) وأصبح قائداً لتلـك الجماعة، ولقد اندفع أبو ألتمن في هـذا الاتجـاه فاشترك في انقلاب سنـة ١٩٣٦ وتولى في وزارة حكمت سليمـان ،منصب وزير المالية، ولكن ميـل الفريق الركن بكر صدقي قائـد الانقلاب والـذي هـو الاول في الوطن العربـي ، إلى فرض دكتاتورية عسكرية في البـلاد وظهور الخلافات بـين الجنـاح العسكـري المتمثـل في جماعـة بكر صدقـي، والجنـاح المدني المتمثـل في (جماعـة الأهـالي) دفعت أبو ألتمـن الى الاستقالة بعد أن فشل في مساعيـه لرأب الصـدع وتقريـب وجهـات النظر، فأصيـب بخيبة أمل، اعتـزل علـى أثرهـا العمـل السياسي حتـى تـوفي في ٢٠ تشرين الثـاني رحمـه سنة ١٩٤٥ رحمه الله .

وقد يكون من المناسب أن نذكر القراء الأعـزاء، بـأن الأسـتاذ الدكتـور خالد عبـد محسن وكان كاتب هذه السطور قد التقاه في لندن أواسط السبعينات من القـرن الماضي، كان يعد أطروحته للدكتـوراه في جامعـة لنـدن عـن جعفر أبـو ألتمن، باعتبـاره من ابرز المعارضين العراقيين لنظام الحكم في العـراق وخاصـة في سنواته الأولى. وقـد ناقشـت أطروحتـه وطبعهـا قبل سنـوات قليلـة في كتاب مهـم . وتبقى حقيقة لابد من التأكيد عليها وهي أن جعفر أبو التمن يعد من ابرز رجالات الحركـة الوطنيـة العراقيـة المعاصرة لذلك يستحق منا الذكر .

شخصية لامعة وحكاية طريفة!..

امرأة حجازية تعشق محمد جعفر ابو التمن من اول نظرة!

خالد خلف داخل

يعد محمد جعفر ابو التمن من اعلام السياسة واليقظة الفكرية في العراق مطلع القرن الماضي حتى منتصفه نذر حياته للكفاح السياسي من اجل تحقيق السيادة الوطنية ودعم استقلال العراق من الهيمنة البريطانية فقد هيئت له صفات الزعامة واولاها شخصية قوية تفرض نفسها فرضا وتتجسم فيها العزيمة وشدة المراس واصالة الرأي كانت له في حياته رسالتان فرسالة وطنية تريد للعراق حرية واستقلالاً ورسالة اجتماعية تريد لابناء الشعب سعادة ورخاء ولشخصيته الف الكثير من المؤلفات والكتب ونال الاخرون شهادات الماجستير والدكتوراه عن حياته السياسية وهنا لا اتطرق الى تلك الحياة السياسية التي عاشها خلال نصف قرن من حياته بل اعرج على بعض المفارقات التي مرت به ولم تذكر في الكتب والمؤلفات التي تناولت حياته الا قليلاً ولم تذكر في مجلس من المجالس الادبية وان كان له مجلس ادبي وسياسي يعقد كل يوم اربعاء في داره فقد كان من اجمل الناس صورة صبيح الوجه اشهل العينين معتدل القامة وكان يتعمم بالعمامة التي يتميز بها التجار البغداديون واسمها (الكشيدة) ويلبس جبة فضفاضة تحتها الجاكيت والبنطلون وبصفته رئيس حزب فيحضر الاحتفالات التي تقام في بغداد وغيرها من المدن الاخرى بعمامته وجبته فاذا خلعها بدا في مظهر جميل واتيق يصفه الاستاذ الراحل المحامي عبود الشالجي كأنه امير من امراء الاساطير ويذكر احدى المفارقات عنه كما حدثه السياسي المعروف عبد الكريم الازري واحد رجال السياسة في العراق بالعهد الملكي فيقول في سنة ١٩٣٦ كنت مديرا عاماً لمديرية الواردات العامة في وزارة المالية وكان الحاج محمد جعفر ابو التمن وكان جوابه عنها بالثناء والتأكيد بأنه يراها جميلة بارعة الجمال فقالت لي : ارجو ان تقول للحاج الوزير اني انا ايضا اراه جميلاً بارع الجمال وعندما ترجمت الكلمة للحاج استحيا رحمه الله وخجل واحمر وجهه وظل مطرقا حتى انتهاء المجلس .. يذكر الاستاذ عبود الشالجي فيقول: كانت صباحة وجه

الحاج محمد جعفر ابو التمن قد اوقفته موقفا احرجه واخجله وكان ذلك في ابان شبابه وقد حدثني عنه قال عندما تواريا في زمن الثورة العراقية اي ثورة العشرين على اثر محاولة السلطة البريطانية القاء القبض علينا تركنا العراق متجهين الى بلاد نجد وعبرنا الحجاز ولما وصلنا مكة اخذنا نبحث عن دار تناسبنا وكان راس الجماعة الذي يتحدث باسمنا السيد محسن ابو طبيخ ودخلنا داراً تملكها امراة في محياها بقايا جمال فوافقنا على استئجار غرفة من منزلها لكن اختلفنا على الاجرة وطلبت المرأة اجرة عالية وعرض عليها اصحابي اجرة اقل فابت واستدار اصحابي للرحيل فناداتهم المرأة وارجعتهم وقالت لهم هل ان هذا الشاب معكم واشارت الى الحاج محمد جعفر ابو التمن فقالوا لها وما سبب هذا السؤال فقالت ان كان يسكن معكم فقد رضيت بما عرضتم وان لم يكن معكم فلا ارضى الا بما طلبت فضحك الجميع وخجلت من كلام المرأة واستحييت وغادرت البيت على عجل لفرط خجلي وخرج اصحابي من بعدي يتندرون بما حصل . وكان رحمه الله من اقوى المعارضين في المجالس النيابية حجة ومن افصحهم لساناً وانصحهم بيانا وله صوت جهوري محبب بحيث يسمعه ويفهمه كل مستمع وكان له مجلس يتردد عليه كبار شخصيات العراق السياسية والادبية فكان عظيم الرعاية لزائريه شديد الحفاوة بهم لافرق عنده بين صغيرهم وكبيرهم وكان يحرص ان يودع كل زائر من زواره حتى الباب يذكر الاستاذ عبود الشالجي فيقول: في اخر اربعاء جلس فيه لزواره وكان الوقت بارداً وجلس الى جنبي وسارني قال انا مريض وقد مرضت عدة مرات من قبل ولكني لم اشعر بان قواي قد انهكت وان بدني قد تحطم الا في هذ المرة ، فقلت له بل يشفيك الله ياحاج ويطيل في عمرك ولما تجاوز الوقت الساعة العاشرة وهو موعد نوم الحاج نهضت ونهض الزائرون الاخرون وودعنا وكان ذلك اخر مجلس له ولما اجتمعنا لتشييع جنازته وكانت السماء تنث قطرات من المطر وكأنما كانت تشيعه بدموعها وفي ذكرى اربعينيته القى الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري قصيدة عصماء يذكر فيها :

جئت الى الحفل الرهيب في ذكرى ابو التمن
وفي الحفل وجوه عديدة شاخصة من الساسة
الحاكمين يتقدمهم نوري السعيد جئت للحفل
التأبيني وكنت مشحونا بقصيدة فرجت بها
عن نفسي وفجرتها بوجوه المعنيين بها في
وقت واحد ومع ذلك فقد كنت احسب الحساب
العسير لعواقبها وكانت القصيدة غضبا
جامحا وتحدياً عنيفا ومن تلك الابيات التي
القاها الشاعر الجواهري :

)قسما بيومك والفرات الجاري والثورة
الحمراء والثوار) فقامت قيامة الحاضرين رغم
ان المجلس مجلس تأبين فقد خرج عن نطاق
المألوف فكان الهتاف والتصفيق في اثنائها
والاشارة جلية فالقصيدة تعني المخضرمين
من رجال الحكم وقيل ان نوري السعيد كان
موجوداً وانا القي القصيدة في تأبين الحاج
محمد جعفر ابو التمن والذي توفي في بغداد
في ٢٠/ت٢/١٩٤٥ عن عمر يناهز اربعة
وستين عاما رحمه الله رحمة واسعة

عندما صار جعفر أبو التمن تاجراً !

حفل تاريخ العراق الحديث بالعديد من الشخصيات السياسية التي كان لها الاثر البالغ على مسار الاحداث والمساهمة في صنعها ومن هذه الشخصيات التي تركت آثارها الفاعلة وكان لها الحضور المميز ومازالت ميدانا خصبا للبحث والدراسة شخصية جعفر ابو التمن والدور الذي قام به في السياسة العراقية واذا عرف الكثير عن ابي التمن كونه سياسياً ووزيرا ونائبا وحزبياً فان الصفة الاخرى له كونه تاجرا مازالت قليلة العناية والاشارة اليها الا بصورة عابرة .. الحاج محمد جعفر بن الحاج محمد حسن بن الحاج داود أبو التمن وهذا هو الاسم الكامل له . ولد في مدينة بغداد عام ١٨٨١ م في محلة صبابيغ الال من اسرة عربية معروفة من اسر بغداد القديمة وقد كانت اسرته تمتهن التجارة ولاسيما تجارة الحبوب (الغلال) وكان جده الحاج داود ابو التمن يمتلك خزاناً كبيرا يقع بالقرب من سوق الصفافير في بغداد .. يديره بالتعاون مع ابنائه الحاج محمد حسن (والد جعفر) الحاج سلمان والحاج كاظم . وقد اختلف والد جعفر مع ابيه الحاج داود لبسبب ما ما اضطره للسفر خارج العراق والزواج هناك وقد التزم جعفر جانب وجده في هذا الخلاف وبلغ مستوى التزامه هذا الى انه اصبح يكتب اسمه جعفر حفيد الحاج داود ابي التمن . تعبيرا عن تضامنه مع جده .

اما عن ابي التمن الذي التصق بالعائلة لقبا . فيعود الى ان جده كان تاجرا بالرز (التمن) وكان من كبار تجاره اواخر العهد العثماني وصادف ان اشترى كميات كبيرة منه وعندما هبط سعره ما كان منه الا ان احتفظ بتلك الكميات حتى اذا عادت الاسعار وارتفعت ارتفاعا عاليا باعها وحقق لنفسه ثروة طائلة وفيها لقب (ابو التمن) ..

مركز خاص

وجد جده الحاج داود منه علامات الفطنة والذكاء والالمام بالأمور التجارية . مما دفعه الى منحه الثقة الكاملة وعهد اليه بالعديد من اعماله والتجاوز حتى أبناءه وبهذا الصدد يقول كامل الجادرجي في اوراقه كما توسم فيه جده دون اقرانه آيات الفطنة والذكاء وعني به عناية خاصة وعهد اليه ببعض الاعمال بل الاعمال التجارية فقام بها خير قيام ويبدو ان هذه المهمة الثقيلة التي القاها عليه جده وهو في بداية الحياة جعلته ينظر الى ادارة الاعمال التجارية للعائلة الا انه كان بطبعه اجتماعيا لايحب الانعزال عما يجري حوله اذ كان يتحين ويسرق بعض الفرص من الاهتمام بالتجارة للمساهمة في النشاطات الثقافية والاجتماعية والدينية المقامة آنذاك وقد ساهمت المجالس الادبية التي كانت تعقد في بيت جده المفتوح بتطوير شخصيته وبلورة امكاناته وواصبح وهو في سن الشباب يتمتع بمركز خاص في الحياة الاجتماعية والسوق التجارية .. وفي هذا الصدد يقول كامل الجادرجي (واذا كان جعفر في هذا الدور الاهم في حياته لاهم له غير الانصراف الى السوق التجارية وادارة الاملاك وتحصيل المال الا انه كان اجتماعيا بطبعه لايحب الانعزال عن الحياة ويبدو ان هذه الصفة قد اعانته في نشاطه السياسي وانعكست على سلوكياته تجاه الاحداث وخاصة ما يتعلق منها بالامور الاقتصادية التي واجهت البلاد كان لها الاثر على حياة الشعب والوطن والتي كانت تتطلب من ابي التمن اتخاذ قرار ما ان كان في موقع المسؤولية وخاصة اثناء توليه وزارة المالية او ابداء رأي إن كان في موقع المعارضة او تطلب الامر ذلك .

ومن نشاطاته ذات العلاقة بالتجاره الدور الذي قام به عن طريق غرفة تجارة بغداد اذ اهتم بها وبتطويرها نحو الافضل سيما بعد ان اصبح عضوا في مجلس ادارتها سنة ١٩٢٨ وتقلده رئاسة المجلس بالنيابة من ٢٣ تموز عام ١٩٢٩ الى ٢٦ شباط ١٩٣٥ او رئيسا لها للفترة من ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٥ الى ١٧ تشرين الاول ١٩٣٩ واذ اعتزل رئاسة المجلس لادارة الغرفة فانه اكتفى بعضوية المجلس حتى وفاته في العشرين من تشرين الثاني ١٩٤٥ وقد توج جعفر ابو التمن اهتماماته بشؤون غرفة تجارة بغداد اثناء تسلمه منصب وزير المالية في وزارة حكمت سليمان التي شكلت بعد انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ اذ استطاع ان يحصل على منحة من الحكومة بمبلغ ثلاثة آلاف دينار كما عمل على تعديل نظامها بحيث يحصل الغرفة ذات شخصية حكمية لها صلاحيات تملك الاموال المنقولة وغير المنقولة برغم ان جعفر قد واجه العديد من جملة الانتقادات الشديدة من منطلق ان اهتمامه الخاص بغرفة تجارة بغداد وحدها من دون بقية غرف التجارة العراقية الاخرى كونه يشغل منصب رئيسها انذاك مستغلا كونه وزيرا للمالية واذ نرى في هذا الانتقاد جانبا من الصواب والموضوعية الا انه من الناحية الثانية قد عمل على تطوير الغرفة في العراق والاكثر تأثيراً في الحياة التجارية مع ان جانب الحق كان يتطلب من جعفر التقسيم العادل لجهده ورعايته لجميع غرف التجارة وبالشكل الذي يتوافق مع اهميتها والمدن التي تمثها خاصة غرف تجارة البصرة والموصل . ولم ينحصر اهتمام جعفر بالقضايا التجارية انما كان يعمل على اسس تكامل جميع قطاعات الاقتصاد العراقي الصناعية والزراعية والتجارية لذا وجه رعايته الى المشاريع الصناعية وشجع على انشاء مشروعي محلج القطن العراقي وشركة الزيوت النباتية للاستفادة من توفر المادة الاولية لهذين المشروعين في العراق باعتباره ارضا خصبة للزراعة وخاصة لمحاصيل هاتين الصناعتين . اذ كان رئيسا لمجلس ادارة محلج الاقطان العراقية المحدودة ومجلس ادارة شركة استخراج الزيوت النباتية المحدودة ..

قاطع البلاط

حاول جعفر وفي مناسبات عديدة حشد طاقات التجار لخدمة القضايا الوطنية والقومية ومنها جمع التبرعات المالية ومثالها البيان الذي وجهه الى التجار العراقيين داعيا اياهم الى التبرع الى القضية الفلسطينية عام ١٩٣٦ .

وبعد عودة جعفر ابي التمن من منفاه في جزيرة هنجام عام ١٩٢٣ اعتزل العمل السياسي وانقطع عن الحياة الاجتماعية في بغداد وقد تحاشى الحضور حتى الى البلاط الملكي ولم يزر الملك فيصل الاول بعد عودته من المنفى كما تقضي الاصول لانه كان حانقا عليه بسبب معارضته عودته الى العراق .. ويرى محمد مهدي البصير ان خلفيات هذا الاعتزال يعود الى اسباب شخصية لارتباك تجارته واصابه بخسائر مالية حاول تجاوزها اذ قال البصير ان هناك سببا شخصيا لاعتزال جعفر وهو تجارته وقد اصابته الارتباك ولحقته اضرار مالية جسيمة نتيجة لنشاطه السياسي وقضائه لفترة طويلة مشردا ومنفيا فاراد ان يتفرغ لاعادة تجارته وتلافي ما حصل له من اضرار لكن جعفر نفسه ينفي ذلك في خطابه الذي وجهه الى الامة ونشر في الصحف المحلية يوم التاسع من الشهر السادس من عام ١٩٢٨ اثر انتخابه نائبا عن بغداد بالاجماع جاء فيه . لقد كانت الظروف والعوامل التي احاطت بي منذ عودتي الى الوطن المحبوب من الخليج العربي تضطرني الى التحدث بشيء ما عن هذه الظروف او هاتيك العوامل لاني ارى ان التحدث بشيء من هذا القبيل قد لا يخلوا من تاثير غير محمود الا انني استطيع ان اؤكد والله على ما اقول شهيد ان هذه الظروف وتلك العوامل لم تكن شخصية بوجه من الوجوه وقد كنت ارغب الى حد ما بان استمر على خطتي القديمة التي كان يسودها الاعتزال الظاهر الى ان تسنح لي الفرصة التي ارى انها ملائمة للقيام بعمل صالح في سبيل خدمة الوطن غير ان الثقة التي منحني أياها ابناء قومي الاعزاء اهل للتشرف بها قد اضطرني للنزول عند رغباتهم المقدسة في الحال.

حرية التجارة اولا :

وقدر تعلق الامر بمنهج جعفر ابي التمن التجاري فقد كان مؤمنا بمبدا حرية التجارة ويرى فيه خير نظام يمكن للعراق ان يتبعه بهدف تحقيق نهضته الاقتصادية لكونه بلدا ناميا ويحتاج الى استيراد العديد من متطلبات التطور الصناعي والزراعي مع امكانية اتباع سياسة حكومية متوازنة مابين الناتج المحلي والاستيراد من الخارج فمثلا تجارة التمور يرى جعفر ابو التمن ضرورة تنظيمها وفق اسس تحمي صغار الملاكين من تحكم الشركات وذلك عن طريق قيام الدولة بحصر شراء التمور بيدها ومن ثم قيامها بعملية التصدير بصورة مباشرة او عن طريق انشاء الجمعيات التعاونية .

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
عدنان حسين
نائب رئيس التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: علي الماجدي
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

أكرم علي حسين

بداية اقول بانني انتمي الى جيل لم يعش زمن الزعيم الوطني جعفر ابو التمن ولكنني وانا اتابع سيرة الرجال الافذاذ في تاريخنا المعاصر اكتشفت منذ وقت مبكر مكانة وقيمة هذا الرجل الكبير ودوره الريادي في تكريس معاني ومبادئ العمل والنشاط الوطني في صفوف العراقيين من خلال انتهاجه وتمسكه بسياسة التسامح في المجتمع ونبذ الطائفية والعنصرية وكل اشكال الفرقة والتفرقة بين ابناء الشعب الواحد..كان ابو التمن زعيما وطنيا عراقيا خالصا بكل معنى الكلمة بل كان وتلك حقيقة تاريخية ناصعة (ابو الحركة الوطنية العراقية) بعد تأسيسه في بداية العشرينات من القرن الماضي(الحزب الوطني)الذي كان اول تشكيل سياسي عراقي متكامل يعتمد المنهجية والفكر التقدمي والاصلاح الاجتماعي والاقتصادي لانقاذ العراق من براثن الاستعمار البريطاني وتحقيق الحرية والاستقلال الناجزين لشعبه ....

جعفر ابو التمن ..ذكرى ستظل منارة للعراقيين

جعفر ابو التمن لم يهادن او يساوم على مبادئه وقناعاته السياسية الراسخة بحتمية اقامة حكم وطني ديمقراطي في العراق يستند الى الارادة الشعبية الواعية ولا يفرط بالمصالح الوطنية العليا لحساب القوى الرجعية المرتبطة بعجلة الاجنبي واهدافه واطماعه الاستعمارية .. كما آمن ابو التمن بالترابط العضوي بين الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي وبانهما سوية يشكلان جسراً واحداً لبلوغ الهدف الاسمى المتمثل في الخلاص من الاستعمار وقيوده الاقتصادية والمالية واحتكاراته ونهبه للثروات الوطنية وخاصة النفط.. وعلى هذا الاساس كان يعمل بجد وبلا كلل لايجاد المعادلة الكفيلة بخلق ارتباط دائم بين السياسة والاقتصاد في سبيل مصلحة العراق ورفاهية ابناءه .. اذ لا استقلال اقتصادي إلا من خلال وجود حكم وطني يراعي مصالح العراقيين اولا واخيراً ..... اننا اليوم وفي رحاب الذكرى الثالثة والستين لرحيله نقف اجلالاً واكباراً لقائد سياسي وطني كرس حياته للدفاع عن حرية وكرامة العراق والعراقيين وكان يجسد ويمثل وحدتنا الوطنية بأبهى واعظم صورها ،فلم يكن يمثل طائفة أو جماعة بعينها ولكنه كان رمزاً وطنياً وزعيماً شعبياً لكل ابناء العراق الذين وجدوا فيه افضل الصفات والمزايا الاصيلة والنبيلة التي تؤهله بلا منازع ليكون قائداً للحركة الوطنية منذ العشرينات وحتى رحيله منتصف الاربعينات من القرن العشرين. ما احوجنا اليوم لزعماء يتحلون حتى ولو بجزء يسير من صفات ابو التمن .... ما احوجنا لزعماء يضعون العراق واهله داخل حدقات العيون بعيداً عن التحزب الضيق والطائفية والعنصرية البغيضتين والمحاصصة المدمرة .. ما احوجنا لقادة وزعماء يرتسمون خطى ابو التمن ونهجه في العمل الوطني بكل آفاقه وحقوله وميادينه الواسعة.. ليت اصحاب الشأن يقرأون حياة رجالات العراق العظام ليتعلموا وليستخلصوا الدروس والعبر من تجاربهم وسيرتهم الوضاءة.. تعلموا قبل فوات الاوان ..واعرفوا ان التاريخ لن يرحم المتاجرين بمصائر شعوبهم ،ولن يرحم المستأسدين بحراب الاجنبي والمتخاذلين والمستسلمين لارادته.. اعرفوا وراجعوا قبل الطوفان !!